892.72
Sh5985ma
c. 1

مصرع كليوباترا

تأليف

المرحوم أحمد شوقي بك

مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٤٦

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــداء

إلى صاحب السموّ الملكي الأمـير « فاروق »
وليّ عهـد المملكة المصـرية(*)

فاروقُ يا أزكى نبات الوادي
ولمحةَ الآبـاء والأجـداد
ويا مناط العهد من «فؤاد»
الى اليـد المأمـولة الأيادي
أرفع ما قد وَسِع اجتهادي
وَردَ الرّبا وزَنْبقَ الوِهاد
حـوادث قديمـة المبـلاد
فضّن عن المـلوك والقُوّاد
وصِرنَ وحيَ شاعر وشادي
وفتنةَ السّراع والمِـداد
يَعطفَن كلّ طيّب الفـؤاد
تَهـزّه فجيعـــة الأمجـاد

(*) أهديت إلى جلالته قبل ارتقاء جلالته عرش المملكة المصرية .

وروعة المَقـادر العـوادي
وما خَلَدَوْن من شعاع هادي
يُبـيّن الغيّ من الرشاد
ومن قصيدٍ مِلْء كل نادي
عَفّ البيوت نزِهِ الأوتاد
تُسيغه مسامـع الرّهّـاد
وقصصٌ مُستَحدَث في الضاد
يُؤلّفُ التمثيـل بالإنشاد
في وطن على الفنون غادي
مَسرَحُه كان بلا عِمـاد
والدُك المُعـانُ بالسّداد
أقام رُكنيْه فـكان البادي
وإن تقبّلتَ وذا اعتقادي
جزَيتَ إخلاصيَ واحتشادي
لجيلك النـاهض بالبـلاد

سوفي

تمهيـــل

١ – زمن الرواية : الأيام الأخيرة في حيـاة كليوباترا حـوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة «أكتيوم» البحرية وانتحار كليوباترا .

٢ – مكانها : في الاسكندرية وأرباضها .

٣ – أشخاصهـــا :

(ا) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .

مارك أنطونيوس .

أكتافيوس قيصر .

قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعة :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .

زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

حابي ... ديون ... ليسياس } مساعدو زينون .

هيـلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حابي غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : روماني في معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه .

أولمبوس : طبيب روماني في بلاط كليوباترا .

أنشـــو : مضحك الملكة .

غاغـــيز : ساقيهـا

حـــبرا : عرافهـا

أيـــاس : شاديهـا

أحيـــل : قائد الأسطول المصري وربان أنطونياد سفينة كليوباترا .

بـــولا : شاعر

أغا القصر

(ج) النكرات المسرحيـــة : جنود وقوّاد مصريون ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

« في مكتبة قصر كليوباترا – حابي وديون وليسياس جلوس إلى»
«عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد»

يومنا في أكتيوما ذكره في الأرض سار
إسألوا أسطول روما هل أذقناه الدمار!

***

أحرز الأسطول نصرا هزّ أعطاف الديار
شرفاً أسطول مصرا حزت غايات الفخار

***

صارت الإسكندرية هي في البحر المنار
ولها تاج البرية ولها عرش البحار

***

حابي : إسمع الشعب (دُيونْ) كيف يوحون إليه
ملأ الجو هتافاً بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء عقله في أذنيه

ديون :

حابي ، سمعت كما سمعت وراعني أن الرمية تحتفي بالرامي

هتفوا بمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهم فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حابي :

أتذكر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتمس الهواء
وكان البحرُ كالميت المسجّى وكان الليلُ للميت الرداء

ديون :

نعم وهناك آنسنا سحابا وراء الليل جلّلت السماء
فقلتَ انظر ديونُ تَرَ الجواري يَطأن الماء همساً والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين سوائبَ لا دليلَ ولا حُداة
رَجعنَ رجوعَ قُرصان أصابوا من الغزو الهزيمةَ والبلاء
فلم نسمعْ لملاّح هُتافاً يُبشرُ بالقدوم ولا نِداء
ولم نرَ فوق ساريةٍ سراجا ولا من ثَقْب نافذة ضياء

حابي : فماذا قلت ؟

ديون :

قلت ديونُ إني أرى الأسطولَ بالويْلات جاء
دخولُ الظافرين يكونُ صبحاً ولا تُزْجَى مواكبهُم مَساء
فلما أصبح الصبحُ انتبهنا نَرَى الأسطولَ أزْيَنَ ماتَرَاءى
تبرّجت البوارجُ بعد عطْل وهزّتْ في ذوائبها اللواء

وردّدَ في المدينـــة أن روما عفا اسطولُهـــا ومضى هَباء
فضجّ الناس بالبُشْرَى وكدّوا حناجرَهم هُتافاً أو دُعـــاء
هداك اللهُ من شَعب بريء يصَرّفه المُضلّلُ كيف شاء

ليسياس [هامسا لحابي] : [تدخل هيلانة]

حابي : صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ وأقبلت بالطلعة الفتّانـــهْ
تَنفَحُ كالزّنبقة الغَيْسانهْ

حابي : ليسياسُ، أنهاكَ عن المجانهْ هيلانةُ في القصر قهرْمانهْ
لها وقارٌ ولها مكانهْ

هيلانة : سلامٌ لك يـــا حـابي
سلامٌ لـــك هيلانـــهْ

هيلانة : أُمِرْتُ أن أقول للأمين ستحضُر المَلِكةُ بعـد حين
فبلّغِ الأمرَ إلى زينون

حابي : سيدتي سـأفعـلُ أمرُكما ممتَثـلُ
هيلانة : تَقـرنـني بِربّتي ! ذلك ما لا أقْبَل
حابي : هيلان ، أنتِ مَلْكتي وأنتِ وحدَكِ المَلَكْ
هيلانة : بـل كيلبـترا وحـدَها لم يَحْـوِ شمسيْن الفَلَـك
إن أنت لم تُؤمِنْ بها فلستَ لي ولستُ لك

[تخرج هيلانة ويدخل زينون من باب آخر في هيئة تفكير واضطراب]

حابي : ذاتُ الجلالة سيدي قد آذَنتنا بالزيارهْ

زينون: هذه حجرتُها لا عدِمَتْ طِيبَ رياها ولا ضوءُ حلاها
كلّ يوم تتجلى ساعةً هاهنا كالشمس في عزضحاها
تدخُلُ الدارَ فتنسى مُلكها بلقاء الكُتْبِ أو تنسى هواها

[محدثا نفسه في ركن قصي من اركان المكتبة] :

أما الشبابُ فقد بَعُد ذهب الشباب فلم يَعُدْ
ويجي أمِن بعد السنيـ ـنَ وقد مرَرن بلا عـدد
أو بعـد طولِ تجـاربي ومكانِ علمي في البلد
تَجْني الحسانُ عليّ ما لم تَجْنِ قبلُ على أحد ؟

ديون [هامساً إلى زميله] :

حاب ، ليسياس ، أقسمُ أن زينونَ مغرَمُ
فضح الشيخَ حبّـه والهوى ليس يُكتم

ليسياس: بِمَنِ الشيخُ مولَعٌ ليت شعري متيّم ؟

ديون ، وبمن جُـنّ يا تُرى ؟

حابي [ضاحكا] : كلّ خاف سيُعلم

زينون [مستمراً في حديث نفسه] :

مالي جنيتُ فصرتُ أتّـهم الشبابَ وأضطهدْ
لم ألقَ رأساً فاحما إلا حملتُ له الحسد
ووجدتُ لاعجَ غيرةٍ بين الجوانح يتّقد
فكأنّ ظلمةَ شعره في مُقلتيّ هي الرّمد
وكأنما سرقتْ ذوا ئبُهُ شبابي المفتقد
ولو ان لي ولداً فما ت لما بكيتُ على الولد
حذَراً وخوفاً أن يكو نَ بها تعلّق أو وجد
شكٌّ يعذّب مهجتي إن المشكّك في كبد

[يلتفت إلى حابي ويطيل اليه النظر ثم يناديه] :

حابي ، بني

[يأتي اليه حابي]

قـل ولا تُخفِ عليّ هل تُحبْ ؟

حابي : أحبّ ! من قال ؟

زينون : سمعتُ

حابي : من روى لك الكذب ؟

زينون : بُنيّ ، ليسَ بالفتى إذا أحبّ من عجب
مَن لم يُحبّ لم يُوَدّ للشباب ما وجب

حابي [متهكما] :

لكن أدّعي الهـوى وليس لي منـهُ سببْ ؟

زينون: حابي ، بُنيّ لا تَرُغْ مِنَ السؤال بل أجِب
لولا الهوى لم تَكُ في ظل الشباب تكتئب
ما بال بِشْرِك امّحى ولونك الغضّ شُحب ؟
وللدموع من مآ قيك تكادُ تنسكب ؟

حابي [ساخراً] :

أفقْ زينونُ واصحُ من الغواني أبعد الشيب تخدُعك النساء؟

زينون [غاضباً] :

أتعلم يا غلامُ عليّ عشقاً ؟

حابي :

دع الإنكار قد برح الخفاء

زينون: ومن أنباك ؟

حابي : أنت !

زينون: وكيف ؟

حابي :

تَهْذي فتفضحك الوساوسُ والهُذاء
كمحموم يبوح وليس يَدري تكشّفَ عن سرائره الغطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى بصحبتك الشباب الأبرياء ؟
فكلّ فتى رأيت زعمت صبّاً يخامره من الرّقطاء داء ؟
وما كعمّى الشيوخ إذا أحبّوا وليس وراء غيّرتهم بلاء

زينون [لنفسه]:

إلهي قد فضحت وضلّ شيبي وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

[لحابي] :

صدقت بنيّ بي داء دخيل وليس إلى الدواء لي اهتداء
عليّ تلوّن الأفعى، فهل لي من الأفعى ونكزتها نجاء ؟
أرى ولها وأحسبه جنوناً كسانيه على الكبر القضاء

حابي : وتعطى حين تلقاها ابتساما وأنطنيوس يعطى ما يشاء
صباحها مغازلة وصيد وللأقداح والقبل المساء
أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟
أتهدم أمة لتشيد فرداً على أنقاضها ؟ بئس البناء !
أبي ، شيخي ، اجترأت عليك فاصفح
فلم أك أجترى لولا الوفاء

إلهي قد فضحت وضل شيبي وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

(صفحة ١٣)

لقد آن التكاشُف والتواصي ... بما توحي الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا ، فإنّا ... جنود الحق يجمعنا لواء
شبابٌ نحن يُعوِزُنا شيوخ ... بهم في المدلهمّة يُستضاء

زينون: كفى، إني نفضتُ يديّ منها ... ومُزّقَ عن بصيرتيَ الغِشاء

حابي: أبي زينونُ قد بُحتُ ... من السر بمكنوني
وما غيرُك زينون ... على السر بأمون

[يشير إلى ديون وإيسياس] :

أخي ، هذا أثبنيّ ... وخلّي ذاك مَقْدوني
كِلا الخلّين للحق ... كما أدْعوه يدعوني
كِلا الخلّين ذو جدّ ... بأرضِ النيل مدفون
فليْسا في هوى مصرٍ ... وفي طاعتها دوني
فدينا الوطنَ الغالـ ... ـيَ بالجنس وبالدين
ولم نصبر على حكم ... لروميّةَ ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ ... ولسنا حزب أنطُون
ولا نخضَعُ للبأس ... ولا نُخدع باللين
ولم يَبقَ على الودّ ... لروما غير زينون

زينون: معاذ الله ، عُدّوني من العصبة عُدّوني
كساك اللهُ يا روما لباسَ الذلّ والهُون
حابي : أبي أنت الطبيبُ وكل داء له في صَيدليّتك الدواء
فهيّ لها ابنَ ساعته وعجّل يُعَجّل في السماء لك الجزاء
لعل سمومك الزعف المواضي من الأفعى وفتنتها شفاء

[يدخل جندي عن حرس الملكة يعلن قدومها]

الحارس : الملكة !

زينون [كأنما يفيق من حلم] :
الملكة ! لا بَرِحَتْ مُملّكة !
ودام مجدُ المملكة !

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانة ومن ورائهن أنشو مضحك الملكة وأغا القصر]

الملكة: تحيّتي لأمناء المكتبة وشيخهم أعلى الشيوخ مرتبه
زينون: سلام السّموات في مجدها على رَبّة التاج ذات الجلال
تمنيت رأسين لا واحداً إذا مَسّت الأرض هامُ الرجال
أطأطىءُ رأساً لمجد النبوغ وأخفضُ رأساً لمجد الجمال

حابي . ديون . لسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :
أنشو [للوصيفتين وقيصرون] :

أما يُغنيهِ عن رأسيـ ـن رأسٌ فيه وجهان ؟
فحيناً هـو مصريّ وحيناً هـو يُوناني
وفي مجلسِ يوليوسَ وأنطونيوس رُوماني
وإن لاقى أغا القصر فنـوبيّ وسوداني

[يدخل الكاهن أنوبيس من باب مقابل]

الملكة : كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عَدِمنا بركاتِكْ
صلِّ من أجلي ولا تنـ ـس صغاري في صلاتك
أنوبيس: ربّةَ النيلِ التّحيا تُ الزّكيّاتُ لذاتِك
حرستْ تاجَكِ إيزيـ ـسُ ومدّتْ في حياتك
الملكة : هوَ ذا ابني قيصرونُ يتـلقّى نفحاتِك

الكاهن [لنفسه] :

إيزيس كيف أصلي على ابن يوليوس قيصر؟
أبوه عالٍ ولكن فرعونُ أعلى وأكبر

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف في اكتيوم]

الملكة [عابسة] :

كاهنَ المُلك، سادتي، هل سمعتم رنّةَ الصوتِ في جوانب قصري؟

أنوبيس: هم رعايا مليكتي

الملكة : ليت شعري

أخير تجمّـــعوا أم لشرّ ؟

شرميون :

الجماهيرُ يا مليكةُ بالشّـ ـطّ يموجون في حُبورٍ وبِشْرِ
سَرّهم ما لقيت في أكتيوم من ظهور على العدوّ ونصر
لا يقولون أو يُعيدون إلا نبأ بات في المدينة يسري

الملكة :

يا لإِفْك الرجال! ماذا أذاعوا كذبٌ مارَوَوْا صراحٌ لعمري
أيّ نصر لقيتُ حتى أقاموا ألسن الناس في مديحي وشكري
ظَفر في فم الأمانيّ حلو ليت منه لنا قلامةَ ظفـــر
وغداً يعلمُ الحقيقة قومي ليس شيءٌ على الشعوب بسر

شرميون :

ربة التاج ذلك الصنع صنعي أنا وحدي وذلك المكر مكري
كثرتْ أمس في الإياب الأقاويـ ـلُ وظَن الظنونَ من ليس يدري
فأذعتُ الذي أذعتُ عن النصـ ـر وأسمعتُ كل كوخ وقصر
خِفتُ في خاطري عليك الجماهيـ ـرَ وأشفقتُ من عِدًى لك كُثْر
فاغفري جُرْأتي، فيا رُبَّ ذنبٍ يَتعب العذرُ فيه مَهّدْتِ عذري

الملكة :

شرميون، اهدئي فما أنت إلا ... ملكة صيغ من حنان وبر
أنت لي خادمة ولكن كأنا ... في المُلمّات أهل قربى وصهر
إنما الخادم الوفيّ من الأه ... ل وأدنى في حال عسر ويسر
إسمعي الآن كيف كان بلائي ... وانظري كيف في الشدائد صبري
أيها السادة اسمعوا خبر الحر ... ب وأمر القتال فيها وأمري
واقتحامي العباب والبحر يطغى ... والجواري به على الدم تجري
بين أنطونيو وأكتاف يوم ... عبقريّ يسير في كل عصر
أخذت فيه كلّ ذات شراع ... أهبة الحرب واستعدّت لشر
لا ترى في المجال غير سبوح ... مقبل مدبر مكرّ مفرّ
وترى الفلك في مطاردة الفلـ ... ـك كنسر أراد شراً بنسر
وتخال الدخان في جنبات الـ ... ـجوّ جنحاً من ظلمة الليل يسري
ودوي الرياح في كل لجّ ... هزج الرعد أو صياح المزبر
وترى الماء، منه عود سرير ... لغريق، ومنه أحناء قبر
يغسل الجرح ثم من غسل الجر ... ح ويأسو من الحياة ويبري
كنت في مركبي وبين جنودي ... أزن الحرب والأمور بفكري
قلت روما تصدّعت فترا شط ... راً من القوم في عداوة شطر

بَطَلاها تقاسما الفُلكَ والجيـ ... ـشَ وشبّا الوغى ببحر وبر
وإذا فرّقَ الرّعاةَ اختلافٌ ... علّموا هاربَ الذئاب التّجري
فتأملتُ حالتيَّ مَليّا ... وتدبرتُ أمرَ صحوي وسكري
وتبيّنتُ أن روما إذا زا ... لت عن البحر لم يَسُدفيه غيري
كنت في عاصف، سللتُ شراعي ... منه فانسلّت البوارجُ إثري
خلَصت من رَحى القتال وممّا ... يلحق السّفْن من دمار وأسْر
فنسيتُ الهوى ونُصرة أنطو ... يوسَ حتى غدرتهُ شرّ غدر
علمَ الله قد خذلتُ حبيبي ... وأبا صبيتي وعَوني وذُخري
والذي ضيّع العروشَ وضحّى ... في سبيلي بألف قُطْر وقطر
موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه ... بنتَ مصر وكنتُ مَلكةَ مصر

[ملتفتة إلى زينون] :

زينونُ، فصّلت الخبر ... عن القتال والسفرْ
وقلتُ عن إبائي ... وخُطة انسحابي
ما ليس يعلمُ البلدْ ... ولا درى به أحدْ
فهل لديك الآنا ... ما يَجلِبُ السّلوانا
من الأمالي المُسْلِيهْ ... والصّحُف المُلْهيهْ

زينون: عنـــديَ يا مولاتي روائـعُ الآيَات
تِسْعون ألف سِفْرٍ قـد كُتبتْ بالتِّبر
من كل رَقٍّ عجبِ في العلم أو في الأدبِ
قيصرُ أنطونيو وهب لنـا مناجمَ الذهبْ
وكلّ غالٍ مدّخرْ من الجواهر الأخرْ
أسـلابه من حربه وطَعنـــهِ وضرْبه
هـديةٌ من قيصر لبَـلدة الإسكندر

أنشو: إذا كانت الكتْبُ في شرعكم نظيرَ الجواهرُ كفء النضارْ
فإني الغنيّ بدُرّ الفـــواة ع حين يُرصّعُ تِبر العُقار
وما الكتْبُ قوتي ولا منزلي فمـا أنا سـوسٌ ولا أنا فار

الملكة: حكيمٌ لعمري على جهله ظريف الحديث لطيف الحوار

زينون [مغيظاً]:

ولكنها حكمةُ السائمات وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تَعَدّى الشعورَ بحُبّ البقاء وخوف الدمار

أنشو: رويدكَ مولاي بعض السباب فليس السّبابُ سبيل الكبار

هَبِ الليل طال فقطعته بدرس وأصبحتَ تُفني النهار
وأقبلتَ بالكتب تطوى الطوال وتَنشرُ في إثرهنّ القِصار
وزِدْتَ على الأرض علم السماء كبارَ كواكبها والصغار
إذا ما نفَقتَ ومات الحمارُ أبينك فرقٌ وبين الحمار ؟

زينون [غاضباً] :

ماذا تقول السيدة ؟

الملكة [ضاحكة] :

واحدةٌ بواحدة

أبي أنوبيسُ ارجو

انوبيس : بل تأمرينَ مُطاعهْ

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة إليه] :

هذا مُقامُ صلاتي وهيكلي للضراعهْ
ولي خطايا كثيرةٌ لا تبرَحُ البالَ ساعه
فادخلْ وصلِّ لأجلي فمنك تُرجَى الشّفاعه

[يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حاني وديون وليسياس]

ديون [متهكما] :

إسكندرية صرت رفرف معبد من كل ناحية عليه ستار

اختَصَّ آلهةُ الجلال بسرّه ... وتفرّدَ الكُهان والأحبار
ما خطْبُهم حابي، وماذا بيّتوا ...

ليسياس: ... ما هـذه الألغاز والأسرار ؟

حابي:

أرأيتَ وقعةَ اكتيوم وما جرى ... فيها وكيف تصرّفَ المقدار !
ليسياس، إنك قد سمعت حديثها ... كالسحر في الآذان حين يُدار
تبدو الخيانةُ فيه وهي أمانةٌ ... ويُرى الثباتُ عليه وهو فرار
وعلمت كيف نجحت وكيف انقض عن ... أنطونيو أسطولُها الغدّار

ليسياس:

واليوم حابي، أينَ أنطونيو وما ... فعلت بقلّ جيوشه الأقدار ؟
قل لي : أحيٌّ في البلاد مشرّدٌ ... هو أم له قبرٌ بمصرَ يُزار ؟

حابي :

ليسياس، تسألني تجاهل عارف ...

ليسياس: ... بل جاهلٍ لم تأته الأخبار

حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها ... للحبّ أجنحةٌ بهن يُطار
ويقال بل أخذته تحت شراعها ... ونجا به فُلْكٌ لها مِحصار
تجري الرياحُ بما تشاءُ قلوعُه ... ويسيرُ في طاعاته التيار

ويُقالُ غضبانٌ عليها عاتبٌ ... ويُقالُ بل حَنِقُ الفؤادِ مُثارِ
وعلى صفاء العاشقيْنِ سحابة ... وعلى سلامِ الصاحبيْنِ غُبارُ
آلى وأقسم لا يُرى في قصرها ... حتى يُقوّمَ مجدُه المنْهارُ
إن البلاء أجلّ من ألا يُرى ... عجبٌ أتخفي في الهشيم النار ؟

ديون :

حابي :

أنطونيو منا بأقرب تُكنةٍ ... يدعو من الرومان من يختار
ويُعِدّ أهبتَه ليوم حاسم ... في البر يُغسلُ عنه فيه العار
ويكون ميدان الرحى ومدارها ... تلك التلالُ وهذه الأسوار
فهناك خاتمةُ الصّراع وموقف ... إما الدّمارُ به وإما الفار

✓ [يسمع صوت أتوبيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد] :

إيزيسُ ذاتَ الحجاب ... مالكةَ العالمينْ
شعبُك لاقى العذاب ... من عَبث الظالمينْ

***

يا من خفضنا الجباه ... لعزّها ساجدينْ
صُغنا إليك الصلاهْ ... من أدمعِ النادمينْ

[ستار]

المنظر الثاني

« في إحدى غرف القصر الملكي ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وأنطونيوس على أسوار الاسكندرية – حابي في الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة: أتدخلُ حابي مَقاصيرَها ؟ بلغتَ من الجرأةِ المنتهى
ستعلمُ أمرَكَ ذاتُ الجلالـ ـة
حابي : بل أمرتُ أن تراني هنا
هيلانة: عجبتُ لها ولتدبيرها كذلك قد أمرَتني أنا
إذن هي تجمعنا يا جَحودُ وتجزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى
حابي : هلانةُ خلّيك من ذكرِها حديثُ الأفاعي طويلُ المدى
هيلانة : رُوَيدَكَ حابي لقد أحسنَتْ فمالي أراكَ أسأتَ الجزا ؟
حابي : هلانةُ ، يا طيبَها حَلْوَةً وإن قلّ في ظلها المُلتقى
تعالي هلانةُ نُعطِ الغرامَ عِنانَ الحديثِ ونَشكُ الجوى
أبلي يديّ بديْكِ اللّبِنْ نعيمي بينهما والشقا
هَلمّ هِلانةُ

هيلانة : حابي أراكَ يُكنهِ الأمورَ قليلَ الهُدى
من القصر لا تلتمسُ خَلوةً وإن هو من كلّ حسّ خلا

سماء القصور لها أذُنان وأرضُ القصور بعينٍ ترى

حابي : هلانةُ لا تقطعي نَشْوَتي بقُربكِ أو حُلمي بالملقا
أمها تخيّلتُ صفوَ الحياة خلقتِ على جانبيهِ القَذَى؟

هيلانة: حنانَكَ حابيّ لا تتهمْ ولا ترمني بعقوق الهوى
وُلذْ بالأناة فإن الأناةَ صَديقُ الصوابِ عدوّ الخطا
فلو كنت وحدك شغل الفؤاد لهان البلاء وقلّ العَنا
ولكنْ حقوقُ كلوباطرةٍ وأي حُقوقٍ لها تُدّعى

[تدخل كليوباترا]

كليوباترا: حقوقُ الولايةِ ياذا الغلام حقوق الرّعاية ياذا الفتى
وصَبري عليكَ لأجل الفتاة

حابي [مأخوذاً] : إلهي لقد سمعت ما جرى

الملكة: وسدّي المسامعَ حبّاً بها وأنت تُعينُ عليّ العدا
وترحل في العرش هجر الكلام وتُغشي الحفيظةَ لي والقلى
ولكنْ لنفسَ الذي قد مضى فمثلكَ تاب ومثلي عَفا

دع الذّودَ عن مِصرَ لي إنني أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطعِمِ الفِتْيَةَ العابثين أسودَ الكلامِ نَعامَ الوَغى

[إلى أنوبيس] [يدخل أنوبيس]

أبي : قد أتيت

أنوبيس: سلامٌ عليكَ شُعاعَ المدائن نورَ القرى

الملكة: أبي قد تَلاقى هنا العاشقان وكانَ بتدبيريَ الملتقى
فباركْ فتاتي وباركْ فتاكَ وكفكفْ هواه إذا ما غلا

أنوبيس: حياتك حابي كَنيسيّةٌ يشاكلُ اوّلُها المنتهى
مقيّدةٌ باليقين القَنوعِ وما أمرَ القلبُ أو ما نهى

الملكة: كزَهرِ المقاصيرِ لم ينتفعْ بطولِ الأديمِ وعرضِ الثرى

أنوبيس: وتحسب في الكتبِ علمَ الحياة وما منه في الكتبِ الأسْدَا

حابي : لعلّي كذي الشك في حرصهِ يقيس الطريق ويُحصي الخُطا
أرى راكبَ الشك ملءَ المجال طويلَ العنانِ بعيدَ المدى
ولو شككت في السراج الفراش لكان سلاماً عليها السّنا

أنوبيس: ولكن تمُرّ على ما تراه تُجاوزُه نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ [مشيراً إلى هيلانة]

كمولانه طليق الإرادة حرّ الحجى
تمشّى على جَنَبات الحياة كما يتمشى شعاع الضّحى
يخوض الوحولَ ويغشى الحلى ويأوى الحضيض ويعلو الذرا
ويخترق العَرَصات الفِساحَ وينفذ من ضيقات الكُوى
ويرتعُ بين أنوف الأسودِ ويلعب بين عيون الظبا

الملكة: ولكنه طاهرٌ حيث طاف نقيّ الذّيول عفيف الخُطا
أبي قد نسينا حديث القتال فمنذ الصباح تدور الرحى
وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة رهنُ الوغى
هنالك يُقضى مصيرُ البلاد فإما البقاءُ وإما الفنـــا
ومن عجب كاد يمضي النهارُ وما من رسولٍ وما من نبا

[يدخل جندي من جنود أنطونيو منهوكا يعنوه الغبار]

الجندي: سيدتي جئتُك بالأخبار لقد جرت بسعدك الجواري
انتصرت جنودنا الضواري تحت لواء البطل المغْوار
قيصرُ أنطونيو على آثاري

الملكة: يا فرحَا ما أعْظمَ البشاره! حلت على أكتافيوالخساره
«واكتيوم» قد أخذنا ثاره خُذْ يارسولُ هذه البُشاره

[تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرمبون : سيـــدتي يا طربَـا ! سيـــدتي يا فرحـَا !
دارتْ على أكتافيُو وجيش أكتافيو الرّحى
هيلانة : مَلْكتي هـــل تسمعين

[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة [منصتة] : صـوت بـوق وهتـاف

[تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنيها وعينيها] :

هـــو واللهِ نشيـدي والمغنّون جنـــودي
والمحاربقُ الـــتي تخ فُقُ من بُعْدِ بنُودي
ولـــديْها فارسٌ مُلـ ـتئم شاكي الحـــديد
يَتراءى في عِنـــان الـ ـجوّ كالبُرج المشيد
هو أنطنيوسُ ذُخري وطَريـــفي وتَليدي

[إلى شرمبون وهيلانة] :

أيهـــا البنتـان هـذي ليـــلةُ العيدِ السعيدِ
صَلّيـا مثـلَ صَـلاتي واسجُدوا مثلَ سُجودي

[يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة] :

هو ذا أنطـــونيو من جانب الميناء أقبَلْ
هيكلٌ يحمـــلهُ من صافناتِ الخيل هيكل

الـــرّداءُ الأرْجُـــوانيّ على عِطفيْـه مُسـبل
مَبسمٌ يضحكُ من تحـ ـت جبين يتهـــلّل
هـــو ذا يدنو

شرميون : أتى واللهِ

هيلانة : مـــولاتي ترجّـــل

الملكة [تبتدر الباب] :
أيهـا البنتـان هـــذي ليـــلةُ العيدِ السـعيد

أنوبيس (هامسا لحاجبي] :
حاجبي ،احيط القصربالذئاب وبي من السخط عليهم مابي

الملكة :
سيدتي تأذن في انسحابي؟ وتأذنين مَلكتي لحاجبي

الملكة [ضاحكة] :
إلى الأفاعي ؟

أنوبيس : لا إلى المحراب

الملكة : رَأيكما في المكث والذهاب

[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة مادا يديه]

أنطونيو : إلهَـتي !

الملكة : فيصري !

أنطونيو : سلطانتي !

الملكة : مَلكي

أنطونيو : عندي لك اليوم يادنياي أخبارُ

الملكة : عَجّلْ فديتُـكَ

أنطونيو : لا ، لا بدّ من ثمنٍ

الملكة : كرائمُ المـال ؟

أنطونيو : ما للمال مقدارُ

[يمد إليها جبينه في ضراعة] :

ردّي على هامتي الغار الذي سلبت فقبلةٌ منك تعلوها هي الغارُ

[تقبله]

كليوباترا :

اليومَ تعلم رُوما أن صَرّتها تُقلدُ الغارَ مَن تَهوى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أن فارسَها جيشٌ بمفرَدِه في الرّوع جرّار

أنطونيو سيدي ، هل نحن في حلم ؟ أسالم أنت ؟ لا أسرٌ ولا عار ؟

أنطونيو :

أسرٌ ؟ وَهمتِ كليوباترا ، أتَظفر بي أيدي الكُماةِ وفي كفيّ أظفار

لو قلت قتلٌ لكان القولُ أشبهَ بي ... كأس المنايا على الأبطال دوّار
الحربُ تعلمُ والأيامُ تشهدُ لي ... أني شديدٌ على الأقران جبّار
لو كنت شاهدتني والحرب جارفة ... والصفّ تحتي بعد الصفّ ينهار
قد جُنّ تحتي جوادي فهو عاصفة ... وجُن تَصْلي بكفي فهو إعصار
رأيتِ حملة صدقٍ غير كاذبة ... لا السّيلُ يَحمِلها يوماً ولا النار
لما صَدمتُ جناحيْهم وقلبهمُ ... عن الخيام ومن أوكارهم طاروا
وما وَجدتُ لأكتافي وقادته ... ريحاً ، ولم أتبيّنْ أيةً ساروا
ومالت الشمس أو كادت فراجعني ... شوقٌ إليك قديم الداء سوّار
حتى رجعت ولو أني طَردتُهمُ ... لبات أكتافُ عندي وانقضى الثار

كليوباترا :

تركتهم لغدٍ ! هذي مجازفةٌ ... غدٌ غيوبٌ وأسرار وأقدار

[مخاطبة أوروس] :

أوروسُ ، أنت بفنّ الـ ... ـقتال أعلمُ مني
الحربُ فنّك أورو ... سُ والسياسةُ فني
إن كان « مَرْكُ » إلها ... فأنت في الحرب جِني
فكُنْ بحقّك عوني ... وقلْ لقيصرَ عني

«ردّي على هامتي الغار الذي سلبت فقبلة منك تعلوها هي الغار

(صفحة ٣١)

إن المنى لم تُقصّرْ بل قَصّر المتمني
فلو صَبَرتم قليلا وسرتمُ في تأني
أرحتُمونى وروما من الحصام المُعنّي

أوروس : سيدتي لم تقصدي لما عذلتِ سيدي
عَجّلتِ في الحكم على ما لم تَرَيْ وتَشهدي
لقد حَملنا حملة كمثلها لم يُعهَد
استنفذتْ بأسَ القنا وقُوّةَ المهنّد
فكان لا بد لنا نُرجي القتالَ للغد

أنطونيو : كليوباترا دعينا من تجنّبكِ كليوباترا
أتبكين على الصبر وقوم حُرموا الصبرا؟
وبي من صبرك الواهي جِراحُ الأمس لم تَبرا
لقد مَنّيتُ أسطولي لدى أسطولكِ النصرا
حليف كنت أرجوأن سأشتدّ به أزْرا
فهبّا تحت أعلامِ لكِ حتى زَحما البحرا
وقد كانا الجناحيْن وقد كنتُ أنا النّسرا
وأجرى الفلك أكتافيو فأجريتُ كما أجرى
صَففْناها وأرسلْنا بها تَقتحِمُ الجرا

كِلانا مارسَ الحربَ وعانى الكرَّ والفرّا
فلمـــا آذنتنا الحر ب بالمعركة الكبرى
تسللتِ بأســـطولـ ـك من غمرتها الحرّى
فقلتُ انسحبتْ ضعفاً وقال الناس بل غدرا
ولـو كان لهـم قلب كقلبي التمسوا العذرا

كليوباترا : أنطونيوسُ مَلكي أنطنيوسُ سيّدي
ليس العُبوسُ سُنّةً لوجهك الطلق النّدي
ولستَ من بغضبُ في ليل الشّراب والدّد
ولستَ للكأس على شاربها بالمُفسِد
قلبُك كنزُ الحب والـ ـرحمـــة والتـــودّد
وكم حَقَدتَ ثم أصـ ـبحتَ كأن لم تحقد
ألستَ بالأمسِ وأمـ ـسِ لفتـة لم تبعُد
وهَبتَ لي جريرتي والصفحُ نصف السّؤدد
فاطوِ معي حوادثَ الـ أمس ولا تُجدِّد
وامضِ معي في لذّةِ الـ يوم ودَعْ هَمّ الغد

أنطونيو : كليوباترا بحبّيك من التأنيب خلينا
لقد سُقتُ وقوّادي إليك النصر فاجزينا

مُري بالكاس والطاس وبالنّدمان يَسقينا
وبالقَصف وبالعزف وبالعذ اقِ المغنينا
وما طُيّب ألواناً وما طاب رياحينا
وقولي الشعر عُلْويا كما كنتِ تقولينا
وأوحيه إلى شادٍ لك يُلقيه فيُشجينا
غداً نتأنيفُ الحربَ ونَطويها ميادينا

انشو : ونَغشاها نَخامير ونلقاها مجانينا

كليوباترا : مُرْ بما شئتَ قيصرُ وأشرْ كيف تأمرُ
لك قصري وماحوى القصرُ كلّ مُسخّر
ليس شيءٌ وإن غلا عن حبيبٍ يُؤخّر
لتكوننّ ليلةً آخر الدهر تُذكر
لا تُبالي إذا صَفتْ بعدها ما يُكدّر
تحلمُ الحلمَ لستَ تدري بماذا يُفسّر

[لوصفائها ووصيفاتها] :

البدار البدار ياوصفائي ووصيفاتي البدار البدارا
قيصر قيصر هو الآمر النا هي على القصر فليكن ما أشارا
هو يبغي وليمة فاصنعوها وانسقوها كما اشتهى واختارا

أطلِعوا هذه الشموعَ شموساً ... تَذَرُ الليلَ بالعَشِيِّ نهارا
وأعِدّوا الخوانَ قد خُمِّل الأا ... وان سَنِّيّ وجُلِّلَ الأزهارا
واجمعوا بالمُدام شمْلَ النّدامى ... وأديروا الكؤوسَ والأوتارا
واجعلوها وليمة وبساطاً ... يتباری خلاعةً ووَقارا
مصرُ إن أولمتْ سَمتْ بالأغاني ... درجات وأسمت الأشعارا
لا تَسيروا على ولائم روما ... سَرَفاً في الفُسوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العقـ ... ـل وجَرّتْ على الحضارة عارا
ولقد تجعلُ النّهارَ نَداما ... ها وأسْدِ العَرينةِ السّمّارا

قائد روماني [لزميله غاضباً] :

أتسمعُ ما تقول عدوّ روما ؟ ... قد اجترأتْ على روما البَغِي
أتحت لوائها وبجانبيهـــا ... يخوضُ الحربَ من روما كميّ؟

الآخر :

غداً تَلقى وإن غداً قريبٌ ... عقاباً في البلاد له دَوِيّ

الأول [لأنطونيوس في عتب وغضب] :

أميريَ أنطونيو أفي الحق أننا ... نبيتُ سُكارى والعدو مُبيّتُ؟

[ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا فيهمس القائد] :

ألا إنه ليلٌ له ما وراءَه ... غرامُك حيٌّ فيه والمجدُ ميّت

الفصل الثاني

« في حجرة الولائم بالقصر الملكي ، حيث ترى كليوباترا ووصيفتاها هيلانة »
« وشرميون، وأنطنيوس ، وأوروس ، وبضعة من القواد الرومان ،وأولبوس»
« طيب الملكة ،وأنشو مضحكها ، وغانميز ساقيها ،وحاجب يعلن اسماء القادمين »

انطونيو : قياماً نَشرب الخمرا على حُبّ كليوباترا
كليوباترا: على حُبك أنطونيو على الجيشِ على مصرا
قائد روماني:على روما
كليوباترا : دعوا روما ولا تُجروا لها ذِكرا
فما أنطونيو منها وإن كان ابنَها البِكرا
القائد : ولكنْ تحتَ أعلامي يَقودُ البرّ والبحرا
أحقٌ مارِكُ أنطونيو سِ من رومِيَّةٍ نَبرا؟

[تنظر اليه كليوباترا فيقرأ في عينيها ما تريد]

انطونيو : أجلْ أتبعُ مولاتي ولا أعصِي لها أمرا
كليوباترا : على حُبكَ انطونيو
انطونيو : ثلاثاً أربعاً عَشْراً
أنشو : وإن شئتَ فعشرينَ إلى ما فوقها سُكْرا
وإن شئت من الدنيا وَصلْنا السُكْرَ للأخرى

قائد روماني [لزملائه هما] :

دَعوا أنطونيو إني أرى السُّكرَ به أزرى
لقد كان الفتى الفَطِنَ فصار الحَدَثَ الغِرّا

قائد آخر [هما] :

سَنلبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سلتْ عُقولهم انسللْنا
فما المُستدلّه السُّكيرأهلا لِتنصره السيوف إذا استللنا

الحاجب :

أياسُ المُغنيّ وجوقة العُزّافِ
وراقصاتُ القصرِ

[يدخلون]

كليوباترا : أهلا بوفدِ الآلهة أهلِ الفنونِ النابهة

الحاجب : الشيخُ زيْنون

رُبّان أنطونْياد [يدخلان]

انطونيو : ماذا عن الأسطول منـ لكَ يا أخيلُ نعلمُ ؟
هل حَمَدتْ فتنَتُه أو لم تَزَلْ تَضرّمُ ؟

أخيل : مَولايَ إن البحرَ يُخ في سرّه ويكتُمُ

وما نـواه في غد مثلُ غـدٍ مُستَبْهم
فـلا أقـولُ مُقدِمٌ ولا أقولُ مُحجم
ولا أقولُ يَنبري للحرب أو يَستسلم

كليوباترا : أخيلُ دَعْنا من غدٍ إن غـداً توهّم
أخيلُ ، ماالعيشُ سوى ساعةِ صفوٍ تُغنم
فلا تَكنْ كداخل على النَدامى يلطم
أتيتَهم مُناديماً لم تَأتِهم لينـدموا
اليومَ مُشربٌ

زينون : وغـداً حـربٌ

غانيز : كلامٌ مُحكم !

الحاجب : بُـولا الشاعر حَبرا الساحرْ

كليوباترا [ضاحكة] :

حَبرا ، أعندكَ سِحرٌ يَشلّ طاغوتَ روما ؟
ويَجْعلُ الناسَ فيهـا حجارةً ورُسوما ؟

[القواد الرومانيون يدمدمون]

أنطونيو : سيدتي لاتجرحي فؤادي ولاتنالي بالأذى اجنادي
وقلّلي السخط على بلادي

كليوباترا : أنطونيو ما أنت روماني ألم تقل إنك لي جندي ؟
أنطونيو : بلى ، وددت أنني مصري وأنني تابعك الوفي
* ما في سوى رضاك لي مضي *

أنشو : تلك والله قضيه أصبح الراعي رعيه
حكم الحب على قيـ صار والحب بليه
صار كالشعب وساوى هج الإسكندريه !
أنطونيو : حبرا ، تكلم ألا عجيبه ؟ من سحر منف أو سحر طيبه
حبرا : إله الحرب سامحني فإني غلبت على أباالستي الغضاب
هم لا يجلسون على غناء ولا يتحدثون على شراب !
كليوباترا : ولكن قيصر يدعوك حبرا وقيصر لا يرد بلا جواب
وأنت الكاهن العراف فانظر أغير السحر شيء في الجراب
حبرا : إذا ما شئت مولاتي فإني اطالع في الكهوف وفي الكتاب
كليوباترا : أدن من قيصر حبرا وانظر الكفين واقرا
انطونيو : تعال حبرا وقلب يدي يمنى ليسرى
لعل أسرار كفي كواشف لك سرا

[يتقدم حبرا وينعم في كف انطونيوس]

ألا ترى لي بقاء ؟ ألا ترى لي عمرا ؟

(صفحة ٤٣)

ألا تَرى لي بقـــاء ؟ ألا تَرى لِيَ عُمـــرا ؟
حـــبرا : يا عَجَبَ الفـال ! مولا ي أعجبُ الناس أمرا
حياتـــهُ بيـديْـــه والناسُ يَحيَوْن قَسْرا
إن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عُمّرتَ دهرا

[قائد روماني إلى زملائه هما] :

لو كنتُ منه قريباً لقلتُ في أذْن حـبرا
حياتُـــه في يديْـــه أم في يَديْ كليوباترا !
كليوباترا : تعالَ الآنَ سَل كفي وبَيِّن ما الذي تُخفي

[يتقدم حبرا إليها ويمسك يدها بعناية وشغف]

حـــبرا : يا لك كفاً كنقيّ العاجِ ناعمةٍ كخَمَل الدّيباجِ
لامِسها من الجحيم ناجي !

[ضحك]

تفدى الأكفّ كلها بمينا بيضاءَ حمراءَ ترفّ لينا
كما أظلّ الشفقُ النسرينا

أنطونيو [ضاحكا] :

سمعت حبرا ملكني كيف ابتكر كلف أن يَصنع سِحرا فشعَر
يولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ في الأثرْ

كليوباترا : لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتْكَ معانيهِ
وما سرّكَ أنطونيو سُروري كله فيه
فما تأمرُ في حبرا بأيّ البر أجزيه ؟

حبرا [لأنطونيو] :

جائزتي يا سيّدي تقبيل هذه اليدِ !

انطونيو [ضاحكا] :

قبّلْ ولا تَرَدّد

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام]

حبرا : عَجبٌ عيني لا تَقـ وى على هذا الضياء
هذه كفّ إلهٍ جاء في زيّ النساء

كليوباترا: خَلني مِن زُخرُف المد ح ومِن زورِ الثناء
ما وراءَ اليد يا عر افُ من غيْب القضاء ؟
أحضيضٌ يومي الآ خِرُ – قل لي – أم سماء؟
خاتمُ الأيام أوْلى باهتمام العظماء

حبرا : مَلكتي يومُكِ في الأيام منشور اللواء
نابه الصبح كيوم الـ شمس عُلوِيّ المساء

خطر العز عليه ومشى فيه الإباء
ثم يتلوه بقاء لم يطاوله بقاء

أنشو [لزينون] :

رأيتَ الشعرَ قد أجدى فماذا قلتَ يا فار ؟

زينون : إلهتي ومَلاكي كُفّي المهرّجَ عني
قد نال مني ولولا ناديكِ ما نال مني

أنشو : سيدتي عبدُكِ أنشو قد صدقْ
الفارُ في مَكتَبَةِ القصر نطق
يقول إن أسرقْ فزينونُ سَرق !
هَمّيَ في الجلد وهَمّه الورق
يَسطو على آثار كلّ من سبق !

أنطونيو: إني أرى أنشو وأمثاله زادوا على زينون في الجرأهْ
يا وَيْحَ للشيخ على فضله أصبح في مَجلِسهم هُزأهْ

أنشو : هَبوه في الدرس بحراً هبوه في العلم أمّه
لا يَخلُقُ العلمُ نفساً ولا يُنبّه هِمّه

كم عالمٍ في يد الجـا هلين مُلقَى الأزِمّـه

كليوباترا: أقِلّ المَزحَ يا أنشو وأرسلْه بمقـدار
فلولا الجهلُ ما رُحتَ تقيسُ الليثَ بالفار

زينون: يا سماء احفظي ويا أرض صوني
أظهرتْ عَطفهَا على زينون

كليوباترا: يا غلامـيز هاتِ النبيذْ
هاتِ اسقني واسقِ الحبيب
واسقِ الملا

بولاالشاعر: بنتُ الدّنان أمّ الزمانْ
خبّـأهـا في قَبْـوِهِ
ساقي مِنـا
لونُ الفَرَحْ حِناّ القَدَحْ
سِرّ السرورْ صفوُ الحياهْ
قوتُ المُنى

كليوباترا: قيصرُ ، ذي سُلافةُ الفيومِ
تنْمَى إلى عَقـائل الكروم

مَحبوءة من عهد مصرائيم
قد عُمّرت كعمرُ النجوم
دِنانُ مصرٍ لا دنانُ الروم

القواد الرومان [يدمدمون ويتهامسون] :

قائد : قولوا يا رومانيّونا تحيا روما

آخر : تحيا

ثالث : تحيا

أنشو [ضاحكا] :

تحيا الخمر يحيا السكرُ

القواد : تحيا روما

جماعة من المصريين : تحيا مصرُ

أنطونيو : أيها الشادي أياسُ بلغ السكرُ مَداهْ
غنّني شعرَ ملاكي غنني شعرَ الإله
أنا لا أطرَبُ حتى أسمعَ والحبّ الحياه

أياس [مغنياً] :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحينا عن الحبّ غنىً

غنّينا في الشوق أو غنّ بنا نحن في الحب حديثٌ بعدنا

***

رجّعت عن شجوِنا الريح الحنون وبعينيْنا بكى المزْنُ الهتونْ
وبعثنا من نُفاثاتِ الشّجون في حواشي الليل برقاً وسنى

***

خبّري يا كأسُ واشهدْ يا وتر وارْوِ يا ليلُ وحدّث يا سحرْ
هل جَنينا من رُبا الأنس السمر ورشفنا من دَواليها المُنى

***

الحياةُ الحبّ والحبّ الحياه هو من سَرحتها سِرّ النّواه
وعلى صحْرائها مرّت يداه فجرت ماءً وظلا وجَنى

***

نحن شعرٌ وأغانيّ غدَا بهوانا راكبُ البيد حدَا
وبنا الملاّح في اليمّ شدا وبكى الطيرُ وغنّى مَوهنا

***

مَن يكن في الحب ضحى بالكرى أو بمسفوح من الدمع جرَى
نحن قرّبنا له مُلكَ الثرى ولَقينا الموت فيه هيّنا

***

في الهوى لم نألُ جُهدَ المُؤثر وذهَبنا مثلا في الأعصُر

هو اعطى الحبّ تاجي قيصر لم لا أعطي الهوى تاجي مِنا

***

صوت: مرحى مرحى يحيا الفنّ

آخر : يحيا الشعرُ

ثالث : يحيا اللحنُ

[تقوم كليوباترا إلى شرفة فيتبعها أنطونيوس]

قائد روماني [لزميل من زملائه هامساً] :

هلاّ نظرتَ إلى الأميرة؟ إنها سَكْرى تعثّر في خليع عذارها

آخر : وتأمل المفتون كيف جرى على آثارها وانجرّ في تيارها

آخر [لزملائه حيث يسمعه اوروس وأولبوس] :

وانظرْ إلى أوروسَ في تردّده يأبى الهُتافَ معنا لمولدِهْ

أولبوس [ساخراً] :

أوروسُ مِلءُ يومه مِلءُ غدهْ فتى تَضجّ الحربُ من مُهنّدهْ

ويَشتهي الأبطالُ فضلَ سؤدده قد راعني فناؤه في سيده

بنفسه وقومه ومَولده يَغلو غُلوّ الكلب في تودّده

يُقيّدُ الكلب وراء مَرصده فيحرسُ الدار على مُقيّده

أوروس :

تلك الدّعابةُ يا طبيبُ ثقيلة فحذارِ ثم حَذار من تكرارها
لولا الوليمةُ والشرابُ وحرْمة لأميرة الوادي السعيد ودارها
لنزعتُ من أقصى لهاتك مُضْغَة كثرت على الأبطال في استهتارها

أولبوس :

أوروسُ !

اوروس :

أولبوسُ صَهْ بَوحَ الخَفا ورأيت نفسك في مفاضح عارها
ماذا حَبَأت من السّموم للملكة غفلت عن الأفعى ولؤم جوارها؟
إلا تكنْ علِمتْ فإنك عندنا جاسوسُ اكتافيوعلى أسرارها
ما زلتَ مذ وَفدت تطلعُه على أخبار قيصر أو على أخبارها
إنا رجالَ الحرب ليس يَفوتُنا لَحْظُ العيون ولا خفيّ حوارها

[اولبوس يحاول ان يتكلم فيمسك به قائد روماني ويهمس اليه] :

أقْصِر أخي إن الجماعة عَربدت فإذا لَجِجْتَ لفتّ من أنظارها
إسلمْ بنفسك في الظلام ولا تثِرْ ريباً أخافُ عليك غبّ مثارها

تلك الدعابة يا طبيب ثقيلة فحذار ثم حذار من تكرارها

(صفحة ٥٠)

إني لأخشى الكأس أن تجري دماً فتصيب شيئاً من رشاش عقارها

أولبوس [لنفسه وهو ينسل إلى الخارج] :

أوروس! أنطونيو إحسابكما غداً روما الأبيّة لم تنمْ عن ثارها

[يخرج]

أنطونيو [من اقصى البهو] :

أما للرقص هيلانـ ـةُ في ليلتنا حصّهْ؟
ألا نجمَعُ بين الكا س والنغْمة والرقصه؟
فهذي فرصةُ الأنس وقد لا ترجع الفرصه

هيلانة : الراقصاتُ يقمْنا الراقصاتُ يَشِبنا
ولا يدعْنَ افتناناً ولا يُقصّرن فنا

[تقوم الراقصات ، برقصة مصرية]

انطونيو [قادماً] :

مرحى مرحى يحيـا الفنّ

صوت : يحيـا الرقصُ

آخر : يحيـا الحسـنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أوفوق ذاك وآذننا بالمضيّ الدّجى

ودونَ الخيام سُرَى ساعة وعند الصباح تَدور الرحى
فهل تأذَنين لنا يا مَلاكُ فلا بد من سِنةٍ من كرى
ولستُ أقُولُ مَلاكي الوداع ولكن أقول إلى الملتقى

كليوباترا:

مكانَك قيصرُ لا تَذهَبَنّ ولاتبْرَح القصرَ أهلِكَ أسى

انطونيو:

ذَريني أعبّىء للقتال كتائبي فلي في غدٍ شأنان في البر والبحر
ذريني أهيّىء للأحاديث في غدٍ فإن غداً يومٌ سيبقى على الدهر
ذريني أزِد تاجيكِ غارَ وقائعي وأقرِن بثعباني جلالهما نَسري
ولستُ اخافُ الدارعينَ وإنما أخافُ فجاءاتِ الخيانة والغدر
وليس كمينَ الحرب ما أناهائبٌ ولكن كمينَ الغدر في ظُلمة الصدر

[لأخيل]:

فياقائدَ الأسطول هل من مَكيدةٍ تُدبّرُ لي خلفَ الشراع وما أدري

كليوباترا:

إمضِ إلى الهيجاء أنـ طونيو كما يمضي الأسدْ
إنّ الأسود في الشَّبَد دونك في هذا الزّرَد

إمضِ إلى المجـد ولا يُقعِدك شُغلٌ في البلد
المجـدُ لا يَسألُ عن صاحبةٍ ولا وَلَد
أنت لروما في غـدٍ وقيصرونُ بعـد غد
والشرقُ سلطاني الذي إكليلُه ليَ انعَقَد
يا ليتُ سِرْ، يا نَسرُ طِر عُدْ ظافراً أو لا تَعُد

« ستار »

الفصل الثالث

« معبد في الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح إلى قسمين »
« القسم الأصغر خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة ، والقسم »
« الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر أنوبيس »
« وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقائق وقوارير وهناوهناك »
« صرر وصناديق يشف بعضها عما فيه من اوع وحيات — باب »
« خلفي يؤدي إلى المعبد . ونافذة جانبية تطل على الفضاء »

[في حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجي نفسه] :

يقولون أنوبيسُ ... وَلوعٌ بأفاعيه
ومشغوفَ بثعبانٍ ... من الوادي يُربّيه
وفي ناديه حَيّات ... من الجن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلم ... كما ذقتُ لَفنوْا فيه
ألا يا رُب خدّاعٍ ... من الناس تُلاقيه
يَعيبُ السّمّ في الأفعى ... وكلّ السمّ في فيه !

[يخرج من الباب الخلفي]

***

[خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس واوروس]

انطونيوس : أوروس إني جَهِدتُ مَشياً ... ومَسّني الضرّ والكَلالُ

فِصْلْ بنا نَستَرِحْ قليلًا من قبلِ أن يَدهَمَ الرجال

[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى] :

أوروسُ ، ماذا دهاني ؟ حتى نَسيتُ مكاني
أتيْتُ ما هدّ مجدي وحَطّ رفعةَ شاني
جلّلتُ نفسي بعار يبقي بقاء الزمان
لما حَمَلتُ جوادي على الفِرار ازدراني
وضجّ مِنيَ سيفي وضجّ مني سناني
ووَدّتِ الأرضُ تحتي لو طُهّرَتْ من عِياني
أنا الذي كان أمضَى من الحديد جَناني
الشرقُ يَدري نِزالي والغربُ يَدري طِعاني
كان الملوكُ عبيدي فصِرتُ عبدَ الحسان
ولستُ أوّلَ حُرّ إستعبدتْه الغواني

[يسكت لحظة ثم يستمر]

ولم أرَ كالحرب استراح قتيلُها وأفضى إلى القيْدِ الأسيرُ المُقَيّد
ولكن شقيّ الحرب والمُصطلى بها
إذا انفضّتِ الحربُ الطويدُ المشرّد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ
عزيزَ ولا يَنزِلْ على القيْد سيّد

أوروس :

وقارَك قيصرُ لا تَجزعنّ وخلِّ المقاديرَ تجري المدى
تَلقّ الهزيمة ثبْتَ الجنان كما كنت تلقى الفُتوح العُلا
فما أنت أوّلُ نَجمٍ أضاء ولا أنت آخرُ نجم خبا
وقد تنزلُ الشمس بعد الصعود وتَسقمُ بعد اعتدال الضّحى
ويا رُبّ غارٍ عراه الجُفوفُ على هامةٍ قد علاها البِلى
أمالك أنطونيو أسْوَة بيوليوسَ قيصر اين انتهى؟
رأيتك والحرب تَبْلو الكُماة فأشهدُ كنت إلهَ الوغى
وقد كان سيفُك غولَ السيوف وكانت قناتُك غولَ القنا
وكنت إذا الموتُ أفضى اليك تحدّيْتَه فانثنى القهقرَى
وكان جُنودُك شرّ الجنود عليك وخَيرهمُ للعِدى
فخانت اساطيلُ أمّلتها وجيشٌ عَقدْت عليه الرجا
وخُلّفتَ في عسكرٍ كالنعاج كثيرِ الثّغاء قليل الغَنا
فمن يائس مات قبل القتال ومن خائنٍ فرّ قبل اللقا

انطونيو :

إذنْ لم اكنْ في الوغى بالجبان ولا خنتُ اوروس عهد الهوى
وتشهدُ أنيَ انطونيوس وأني ابنُ روما وأني الفتى ؟
فإن عِشتُ عشتُ نقيَّ الجبين وإن مِتُّ مِتُّ كريم الثنا

[يرى انطونيو شبحاً فيسأل اوروس مبهوتا]

انطونيو : أوروسُ !

اوروس : مولاي

انطونيو : تأمَّل منْ ترى؟

اوروس : هذا أولمبوس وقد حثَّ الخطا

أنطونيو : تُرى إلى أين؟ ومن أين أتى؟

اوروس : ها هو سارٍ نحونا ها قد دَنا

[يظهر اولمبوس]

أولمبوس : تحيةٌ قيصرُ

أنطونيو : بل أنطونيو لاغير بل قُل الشّريد المُقتفى
لا تخدعوني قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالولايات كفى

أولمبوس : مولاي

انطونيو : لستُ اليوم مَوْلى أحدٍ أكتافيو السّيد والعبدُ أنا

مررت بالقصر فكيف ناسهُ ؟ هل عن كليوباترا أولبيوس نبا؟
صرّح أبن، قل غدرت ، قل جددت بقيصر الثالث دُولةَ الهوى
قد صَنعتْ بي عند حاجة الوغى ما لم يكنْ يصنعهُ بيَ العدا
أسطولُها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا

أولبوس : مولاي ! اعفِني

انطونيو : تكلمْ لا تخفْ .

إني أرى عليك رَوْعَه الأسى

أولبوس :

مولاي مهلًا في الظنون واتّئِدْ إن من الظن اتهاماً وأذى
أنت على مالكَ من مُروءةٍ رميتَ بالغدر أحب من وفى

انطونيو: ماذا تقول ؟

اولبوس : كيلبترا انتحرت بطنعة الخنجر في صدر الضحى

انطونيو :

باللسماء ! انتحرتْ ! أين؟ أينْ ولمْ ؟ وكيف كان ذاك ؟ ومتى ؟

أولبوس :

مَررْتُ بالقصر ضحى اليوم فلم أجدْ له نَظْماً ولا حُسناً يُرى

بدا لعيني خلاء موحشاً غير عويل هاهنا وهاهنا

انطونيو : انتحرتْ ! يا للخبرْ ! ويا لقسوة القدر !
إن الأمورَ انتقلتْ من خطرٍ إلى خطر
ما غدرتْ وإنما أنا الذي بها غدر
واخجلتا من قولهم انتحرتْ وما انتحر !
إذهب أولمبوسُ ودع ني والهمومَ والكدر
ما يجراحات القلو ب للأطبّاء بَصَر

[يذهب اولمبوس]

[روما] :

روما حنانَك واغفري لفتاكِ أوّاه منك واهٍ ما أقساك!
روما سلامٌ من طريدٍ شارد في الأرض وطّنَ نفسه لهلاك
اليومَ يَلقى الموتَ لم يهتف به فاعٍ ولا ضجّتْ عليه بواكي
إن الذي اعطاكِ سُلطانَ الثرى لم تنعمي لرُفاته بثَراك
إن الذي بالأمس زِنت جبينَه بالغارِ عَقّك جُهدَه وعصاك
يا رُبّ تاج في جبينك زاهر عَطلتْ منه مَفارقَ الأملاك
الأمّهاتُ قلوبُهنّ رقيقةٌ ما بالُ قلبِك لم يَلِنْ لفتاك!

أعرَضْتِ غَضبي في الحياة فرحمةً ... لا تحرميني في الممات رِضاك
إن كان موتي كلّ ما تبغينه ... فهَناك إهأنذا أموتُ، هَناك !
يا أمّ، عُذرُك في اتهام بُنُوَّتي ... بادٍ وعذري في العُقوقِ كذاك
لولا الجمالُ وفتنة من سِحرِه ... ما حلّ في قلبي هوىً لسواك
صفحاً كليوباترا فرُبّتَ زلّةٍ ... قد كنت تغتفرين حين أراك
لما لقيتُكِ في الجمال وعِزّه ... قَهرتْ قواي الظافرات قُواك
فنسيتُ في ناديك ذكرَ وقائعي ... وسلوْتُ أيامي بيوم لِقاك
سجدتْ لأعلامي الصّوارم والقنا ... قدتُ الجحافلَ والبوارج قادراً
أخرجتِ أمري واختياري من يدي ... وتركتِني نفساً بغيرِ مِلاك
خِلتُ السلامة في نَواكِ فذُقتُها ... فإذا الكوارثُ كلهنّ نواك
عاديتُ قومي في هواكِ واضرمتْ ... روما عليّ الحربَ من جرّاك
وشردتُ في شرق البلاد وجدّ في ... طلبي عِدايَ بغربها وعِداك
أغدو على سيف العدوّ وناره ... وأروحُ بين مكامنٍ وشباك
وتلمّست نفسي السيوف ورامني ... في البر والبحر الكميّ الشاكي
كانت حياتي للرجالِ أليّةً ... واليومَ هُنتِ فأقسموا بهلاكي

ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً فذممتُ عهدك واتهمتُ وفاك
حتى إذا حُمّ القضاءُ وراعني عُطْلُ المقاصر من بهاء حُلاك
ضحّيتُ بالدنيا وقلتُ رخيصةٌ وبذلتُ أيامي وقلتُ فداك

***

أماناً إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ بهذا الحُطام المستباح المُبعثَر؟
لقد ذَلّ من بعد امتناعٍ كأنه بقيةُ نصلٍ أو رُفاتُ غَضنفر
صدعتَ أكاليلي وحطمتَ صارمي وجرّدتني من أرجواني المظفّر
ولم تألُني هدماً وكنتَ بنيتني بناءَ الصّناع القادر المُتجبّر
ملأتَ سبيلي بالهوى وصروفه ومن يَمش في ارض الهوى يتعثر
تنكرتَ حتى اخترتَ لي معول الهوى فليتَك لم تغضبْ ولم تتخير
أروسُ غلامي، إن في النفس حاجةً

اوروس : وعندي اقصى طاعة العبد فأمُر

انطونيو :

أوروسُ أرى الدنيا بعيني اظلمتْ وكانت قديماً كالصباح المنوّر
وضاقت بيَ الأرضُ الفضاءُ فكلها سبيلُ طريدٍ ضائع الدّم مُهدَر
غوَيتُ وأوْفى بي على الحفرة الهوى فخفتُ، ومن يركب شفا الجرف يذعر
فشعوريرةُ الخوف اعترتني ولم تكن إذا ما اقشعرّت تحتي الأرض تعتري

مليتُ من الأحداث رُعباً فضمني ... اليك وقرّبْ من إزارك مئزري
أرى الموتَ ممدودَ اليدين كمنقذٍ ... لمثليَ من غرقى الحياة مُسخّر
دعاني، ولو أني على النفس مُشفقٌ ... مددْتُ اليه الكفّ لم أتأخّر
أروس، أرى الماضي بطيف خياله ... وتعرضُ لي احلامُه في التذكر
ذكرتُ بروما أربُعيي وملاعبي ... وأين ضفافُ النيل من شطر تيبر؟
وأيامَ يدعوني الهوى فأجيبُه ... وينفخُ في البُوق المنادي فأنبري
فتنتُ الغواني بُرهةً وفتنّني ... ولكنني عن سُوددٍ لم أقصر
فهمّةُ قلبي في شرابٍ وصَبوةٍ ... وهمة نفسي في عَلاءٍ وفخَر
أروسُ توافقنا على كلّ غمْرةٍ ... وكلّ مجالٍ ثائر النّقع أكدَر
وفي مِهرجان الفاتحين وعُرسهم ... وتحت لِواء أو على عُودِ منبر
فمالتْ بنا الدنيا فصِرنا بموقفٍ ... شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعر
نرى الأرضَ فيه والسماء تناهتا ... إلى فلكٍ يَحسِر الجهاتِ مُسمّر
فكيف مقامي يا أروس على الأذى ... وصبري على العيش الذليل المكدر!

اروس:

أجل قيصرُ اعتضْنا من العزّ ذلة ... ومن حِلية الأعلام عُطل التنكر
فهنّا كأنقاض الحصون على الثرى ... وضعنا عليه كالقنا المتكسّر

نَهِيمُ كأبناء السبيل وطالما أخفنا سبيلَ العاهلِ المتكبر
وما منزلُ الأبطال إلا رَحى الوَغى إذا هي دارت أو رِواقُ المعسكر

أنطونيو : فماذا ترى اوروس ؟

اروس : رأيك اولُ وعندك ترجى نَظرة الصدق فانظر
لقد عشتُ ظلّا لا أرى غيرَ ما ترى ولا خيرَ في الرأي التّبيع المسيّر

أنطونيو :

أروس ، انا الأعمى وانت لي العصا فخذْ بزِمام العاجز المُتحيّر

اروس :

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس محتوم القضاء المقدّر

انطونيو :

وماذا يقولُ العاجزون إذا ابتلوا

اروس : يقولون حُكمُ اللهِ يانفسُ فاصبري

انطونيو :

أروسُ ، يقومُ العاثرون وقلّما يُقالُ عِثارُ الكوكبِ المتغوّر
أروسُ ، ألم تفهمْ ؟ هو الذلّ فاشفِني بِضربةِ سيفٍ او بِطعنةِ خنجر

فإنـك حرٌّ إن فعلتَ وفائزٌ بسيفي وأثوابي ودرْعي ومِغْفري

اوروس :

مَعاذَ خلالِ البِرّ مولاي! أعْفِني فليس بدي تقوى ولا السيف يجتري
وأنت الذي لو بِيعَ بالروح ودّه ومالي سوى روحي تقدمت أشتري
لآلهة الرومان أشكوكَ قيصري ظلمتَ فلم تُنصفْ ولائي وتَقْدُر
أتجعلُ في الميزان حُبي وطاعتي وشتّى عروض من ثياب وجوهر؟
لقد جادلي بالسيف والدّرع قيصر

[يطعن نفسه بخنجره] :

وُجدتُ بأيام الحياة لقيصر

انطونيو :

أوروسُ، عفواً قد ذهبتَ ضحية وَجنى عليك تردّدي المقوتُ
فعلمتَ مِني كيف يَجبُنُ قيصرٌ وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتُ

[يطعن انطونيو نفسه فيخر على الأرض جريحا]

[ينتقل المشهد إلى داخل المعبد حيث يدخل انوبيس إلى حجرته ويناجي اقاعيه]

انوبيس :

هـلمّ لكنْ بناتِ التـلال وجنّ الخرائب منْ صالحجر
تبدّلَ من حولكنّ المكانُ وأين القِفارُ وأينَ الحُجَر

فعلمت مني كيف يجن قيصر وعلمت منك العبد كيف يموت

(صفحة ٦٥)

يـدُ العلم وهي حديديةٌ ... حَوَتْكنّ من جَنبات الحفَر
وجاءت بكنّ إلى حُجرتي ... أسارى القوارير رَهنَ الضّرر
أرابنيَ الناس في أمركنّ ... وصرتُ حديثَهمُ والسّمَر
وقيل أنوبيسُ حاوٍ تسيلُ ... إليه الأفاعي إذا ما صَفَر
وما فِتنتي بجلودٍ لكُنّ ... مُرَقّشةٍ كإهاب النمِر
ولا بهياكلَ مثل العصِيّ ... من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كَدِقّ الحصا ... ولا بعيونٍ كوقْدِ الشّرَر
ولكن أزاولُ علم السموم ... وعلمُ السموم جليلُ الخَطر
لقد كان لي في مُعاناته ... تجاريبُ أنفقتُ فيها العُمُر
إلى أن نجحتُ، نعم قد نجحتُ ... وعاقبة الصابرين الظّفَر
فكم قد شفيتُ بطبي اللّدِيـ ... ـغَ وأيقظتُ من نزْعهِ المحتضِر
فقيل إلهٌ أعاد الحياةَ ... إلى الميْت أو خدْنُ جنّ سحر
صَنعتُ من السم تريا قـه ... وقد يختفي النفعُ تحت الضرر
وأنتنّ والناسُ قد تلتقون ... ففيكنّ شرٌ وفي الناس شر

[تدخل حاملة خلسة]

أنوبيس [مستمراً] :

وتقتلنَ عُمْيَ عيون السلاح ويَقتلُ قاتلُهم عن بصر
لِسانُ ابنِ آدمَ أو نابُكنّ كلا السائلين لعابُ القدر

حابي : سَلامٌ أبتِ

انوبيس : حابي ؟ سلامٌ لكَ يا حابي

حابي : أمشغولٌ أبي اليومَ بذات القَرْن والنابِ
وأنطونيوس مهزومٌ وأكتافيو على الباب ؟

أنوبيس [باستخفاف وهو يشير إلى أفعى] :

حابي ، تقهقر ناحيهْ تلك الخبيثةُ داهيهْ

[يتقهقر حابي قليلاً بينما يلهو الكاهن انوبيس بالحقاق والقوارير]

تلك القواريرُ وذي الحِقاقُ غَوْثٌ إلى مُستنجدٍ يُساقُ
* لكل سُمٍّ عندها تِرياق *

أبتي ، من للرّعيّهْ من لأوطاني الشقيهْ ؟
خَلِّ حيّاتِك في الأسـ فاط واشعُرْ بالرزيّه
بعد حين تملأ الوا دي الأفاعي البشريّه
أبتي نحن من اليو م عبيدُ القيصريه

أدنِ أذنيك على قدْ سها من أذنيّه
واسمع البوقَ تجد من أحرُفِ الرقّ دَويّه

انويس : حابي، تقبّل هذه القنينه واقبِض عليها بيدٍ ضنينه
فإنها ذخيرةٌ ثمينه !

حابي [لنفسه] :

يا للسماء لأبي ؟ تُراه يَستهزىء بي ؟
وبحَ له ، عساه جُنّ أو لعله نبي
أوحتْ له السماءُ علـ م غيبها المحجّب
يَعلمُ من يُلدَغُ من رَقطاءَ أو من عقرب
لأحملنّ حُقّه مثلَ تميمةِ الصّبي
يا لكَ شيخاً طيّباً يأتي بكل طيب !

[مخاطباً انويس الكاهن] :

وبعَ الحمى أبي فكيـ ـف الحمى لم تَغضبِ ؟
دعِ الأفاعي واشتغِل بالأفعُوان الأجنب
الوطنُ المَلدوغ أو لىَ اليومَ بالمُطبّب

أنوبيس : وأين كنت يا فتى وأين فتيان الحمى؟
وأين فرسانُ المقا ل هل مَضوْا إلى الوغى؟
أدَرْتمُ وجوهكم ساعةَ دارتِ الرحى
تركتم أنطونيو سَ وَحدَه يَلقى العِدا
من أجلكم سلّ الحُسا مَ وإلى الحرب مشى
ما كان ضرّكم لو الـ تففتم على اللِّوا ؟
أبعد أن حلّ على الـ ـنيل ووادِيه القضا
ولم يَجِدْ من شِيبهِ ولا شبابهِ فِدا
أتيتَ تدعوني كما تدعو العجائزُ السما
الرأيُ ليس نافعاً إذا أوانُه مضى

[يدخل جند من حرس الملكة]

الجندي : مولاي ، ذات الجلالة

أنوبيس : الملكةُ الآن عندي ؟

[تدخل كليوباتره في حاشيتها]

كليوباتره : تحيةً يا أبتِ

أنوبيس : سيدتي في حُجرتي

مُري بما شئتِ يَكنْ وإن تحدّى قــدْرتي

كليوباترا :

أبي، أعلمتَ أن الجيشَ وَلّى وأن بوارجي أبتِ المُضيّا

انوبيس :

علمتُ وكان ذلك في حسابي وذا حابي به أفضى إليّا

كليوباترا :

وهل نَبّاك عن انطونيوس وكيف جرتْ هزيمتُه عليّا
وما أدري أأردُوه قتيلًا صباحَ اليوم أو أخذوه حيّا؟
أبي ذهب الحليفُ فكنْ حليفي فقد أصبحت لا أجِد الوليّا
أبي خفتُ الحوادثَ

انوبيس : لا تُراعي لباةُ النيل ليس تخافُ شيّا

كليوباترا :

أبي لا العزلَ خفتُ ولا المنايا ولكن أن يَسيروا بي سَبيّا
أيوطأ بالمناسم تاجُ مصرٍ وتمشي شعرةٌ في مفرقيّا؟

انوبيس [باستخفاف] :

لتأتِ المقاديرُ أو فلْتَذر تعالي كليوبترا ألقي النظرْ

كليوباترا :

أفاعٍ ؟ أبي، نحّها، اخفِها؟ أعوذُ بإيزيسَ من كلّ شر
فماذا تريدُ بإحرازهنّ وهل يقتني عاقلٌ ما يضر؟

انوبيس :

أتيتُ بهنّ لدرس السّموم ولم أخلُ في علمها من نظر
أداوي بها أو بترياقها مُحبّ الحياة أو المنتحِر

كليوباترا [كأنما تحدث نفسها] :

محب الحياة أو المنتحِر !

كفى أيها الشيخُ! بل هات زِدْ فما بيَ خوفٌ ولا بي خَورْ
وإن تكُ بي خشيةٌ في النساء فلي جرأةُ الملكات الكُبر
تكلمْ فليست سمومُ الأراقـ ـم في الحبّ دون سموم البشر
فيا ربّ صَفْوٍ سَقيتُ الرجالَ فلما تروّوْا سقوني الكدر

انوبيس :

قِصارٌ وهُنّ سهامُ المنون وليس يَعيب السهامَ القِصرْ
تمسّ الفريسة مسّ السنان وتمضي مَضاءَ الحسام الذّكر
وكلّ الذي لَمستْ مَقتلٌ ولو انشبت نابَها في ظُفُر
إذا جَرحَتْ لم تَقم عن دمٍ كذلك يجرحُ سهمُ القدر

ومائتُها لا يُحِسّ المنـونَ كمَن مات في النوم لايحتضر

كليوباترا [مرددة قوله في صوت خافت] :

ومائتُها لا يُحِسّ المنـون كمن مات في النوم لا يُحتضرا!
ولكن أبي هل يُصانُ الجمال؟

انوبيس :

نعم لا يَحـولُ ولا يَنـدثر

كليوباترا :

وهل يَطفأ اللون ؟

انوبيس :

لا بل يُضيءُ كما رفّ بعد القِطاف الزهر

كليوباترا :

وهل يبطل الموت سحر الجفون ويُبلي الفتورَ ويُفني الحَوَرْ

أنوبيس :

كعهد العيون بطَيف الكرى إذا الجَفنُ ناء به فانكسر

كليوباترا :

أبي والشفاءُ ؟

أنوبيس :

لـواقي الذّبـول كما احتضر الأقحوان النّضر
وما الموت أقسى عليها فما ولا قُبلةٌ من عوادي الكبر

كليوباترا :

وما عَضَّةُ الناب ؟

انوبيس :

وخـزٌ أخفّ وأهْونُ من وَخزات الإبر

كليوباترا :

وما شَبَحُ الموت ؟

انوبيس :

ماذا أقـولُ ؟

كليوباترا : تُمثلُهُ لي كأنْ قد حَضَر

أنوبيس :

زعمتِ ابنتي الموت شخصاً يحس وعظّمتِ من خَطْبه ما صَغُر
وما هو إلا انطفاءُ الحيـاةِ وعَصْفُ الردى بسراجِ العُمر
وليس له صورةٌ في العيون على قُبح صورته في الفِكَر
إذا جاء كان بَغيضَ الوجوه وإن جي، كان حبيب الصّوَر

كليوباترا :

إذن هذه الرّقطُ في ذمتي فصُنْها وأحسِنْ عليها السهر

وأقسمْ لتَأتِ إلي بهـــنّ ولو أن دوني الظّبا والسّمُر

انوبيس :

يمينـــاً بإيزيسَ أحملهن إليك وفي سِلال الخُضَر
إذا بات في خطر تاجُ مِصـ ـرَ سبقتُ إليك بهنّ الخطر

كليوباترا :

أتجعـــلُ لي يا أبي آيـــةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر؟

أنوبيس :

هـو التين أبعثُ حابي به وبالرقط بين غُضون الثمر

***

ابنـــتي ذلـــك محـــرا بي ادخليـــه للصّـــلاهْ
واسكبي الدمعَ عسى أن يَقبَلَ الدمـــعَ الإلـــه
هـــو ذو المُلْكِ الذي يبـ ـقى ويفـــنى ما ســـواه

[خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية]

الجندي الأول : تحيـــا روما بحيـــا قيصرْ
الجندي الثاني : روما العُظمى أبـداً تنصَرْ
الجندي الثالث : ماذاك ؟ مافوق الطريق ؟ ما أرى ؟
ميـــلا رفيقيّ معي لننظـــرا

الأول : هناك مقتولان ضرّجا الثرى
الثاني : نعم أرى ثمّ دما وخنجرا
وهيكلين من حياة أفقرا

الثالث : جُبتَ ارُيا مُصرِّف الحروب بارِكْ لنا في هذه الجيوب
وابعثْ لنا بالذهب المحبوبِ

الأول : يا عجب الأقدار! أنطونيوس؟

الثاني : أنطونيو! أجل وذا أوروس!
وأحسَب السيدَ مات بيدهْ ثم هذا العبدُ مثالَ سيّده
لهفي على أنطونيو في مرقدهْ

[يئن أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود]

أنطونيو :
ويحي أخيّ أنا جريحٌ ؟ ماذا يُريدُ القضاءُ ماذا
جنودُ أكتاف أدركوني يا ليتني مِتّ قبل هذا

جندي :
لا بل جنودُك لكن خانوك حُباً لروما

آخر : وما تَركوك عليهم تحت اللواء زعيما

ترمي بهم مَطلعَ الشمـ ـس أو تَؤمّ النجوما

أنطونيو :

يا جنودي وصحـــابي ليس ذا وقت العتاب
أتركوني وعـذابي

[يغمى عليه]

جندي :

لهفي عليه عاده الإغماء وأوشكتْ تنزِفه الدماء
وليس إسعافٌ وليس ماءُ

آخر :

هَلمّا احملاه هَلمّا احملا وجيئا بمولا كما الهيكلا
وأمضي فأبلِغُ اكتافيوالا حديثَ أعرّفه المنزِلا

[في حجرة الكاهن — كليوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب]

كليوباترا :

أبي دخلت ونفسـي حَيرَى الزّمام حزينهْ
وقد تركتُ المُصلّى ومِلءُ قلبي سكينه
إن الصّلاة عـلى شـدّ ة الزمان مُعينـه

[يسمع صوت جندي من الخارج]

كليوباترا :

ما تسمعون أصيخوا شَرٌّ وهـذا بَريـدُهْ

كان الضجيج بعيداً والآن يـــدنو بعيـدُه

حابي :

أسمعتم إضجةً صاخبةً وجريح وجنودٌ في الطريق
هاهمُ قددخلوا الداربه

أنوبيس : دارُنا الشاطىءُ لايأبى الغريق

حابي :

هاهمُ قد حضروا

انوبيس : يا مرْحباً أعدُوّاً كان أم كان الصديق

[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :

وينحَ ماذا ترى ؟ ومن الحـ مول كالسيف في الأكف خضيبا؟
أيها الجندُ ما بأيديكمُ اليـو م ؟

جنـــدي : جريحٌ على الطـــريق أصيبا

كليوباترا :

أفتدرون مَن حَمَلتم ؟

جنـــدي : حَمَلنا هيكلا عَزّ في الرجال ضريبا
قد عرفناه خيرَ من هزّ رُمحاً ونضا صارماً ولاقى الحُـروبا

[تتأمل كليوباترا في وجه الجريح]

كليوباترا :

آه أنطونيو ! حبيبي ادركوني بطبيب
ماتروْن الأرض تروى من دَم الليث الصّبيب
أبتي ، أين قـوى طـ ـبّ ك والسحر العجيب
هو في إغماءة الجـر ح فنبّـهْهُ بطيب
هو ذا يفتح عينيْـ ـه ويُصغي لنحيبي

انوبيس [محاولا إسعاف الجريح] :

تلك أنفاسُه تَوالى وهذا جسمه لا يزال غضاً رطيبا
هوذا قد تخلّجت شفتاه وتهيّـا لسانهُ ليَثوبا
أيها الملكة ارفُقي بجريح بات تحت الرداء جُرحاً صبيبا
لا تناديه بالدموع مِراراً ربما ضرّ جُرحَه أن يُجيبا

انطونيو :

كيلُبترا ! عجبٌ ! أنت هنا ! لم تموتي . . هم إذنْ قد كذبونْ

كليوباترا :

سيدي روحي حياتي قيصري أنت حيّ ؟

انطونيو :

بعد حين لا أكونْ

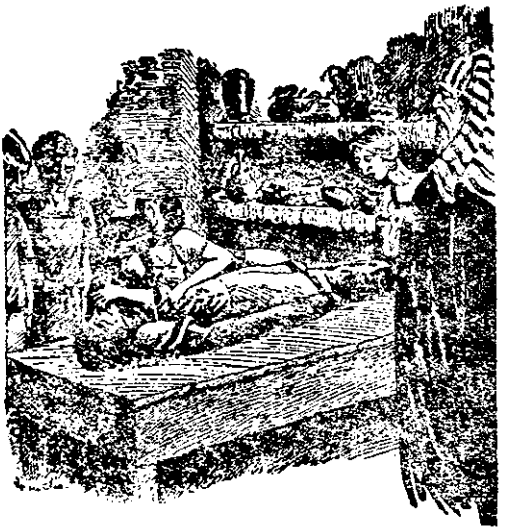

آه أنطونيو حبيبي أدركوني بطبيب

(صفحة ٧٩)

كليوباترا :

من تعاني كذبا ! من قالها لك !

أنطونيو :

أولمبوسٌ النذلُ الخؤون
مرّ فاستوقفتُه أسألُه قال ماتتْ فتجرّعتُ المنونْ

***

كليوباترا زوّديني قبلةً من ثناياكِ العذابِ الشبِماتْ
وأضيئي بسَناها مُقلةً يُسدلُ الموتُ عليها الظلُمات
سيقولُ الناسُ عني في غد من أولي الرحمة أو أهل الشّمات
بَطلٌ لم تَظفَرِ الحربُ به في الهوى تحت لِواء الحب مات

[يسلم الروح]

كليوباترا :

قد تَداعى مِحْوَرُ الأر ض وميزانُ الشعوبِ
مال كالشمس جمالاً وجلالا في الغروب
أيها المجروحُ لو تد ري جُروحي وندوبي
أيها الذاهبُ قد آ ن عن الدنيا ذُهوبي
أيها الخالصُ وُدّاً ليس وُدّي بالمَشوب
أيها الصادقُ وعداً ليس وعدي بالكَذوب

عن قريب يَنطوي القبـ ـرُ علينا عن قريب
كَلّلوه بالرياحيـ ـن وبالغار الرطيب
واهتِفوا في أُذنيْه بأناشيد الحروب

***

واحبيباه، جاءه الموت فاستسـ ـلم لا يستطيع إلا ذهوبا
كان ما خفتُ أن يكون وحلت نَكبة لم تفاجِ المنكوبا

[تستوي قائمة]

أيها الجندُ مات قيصرُ فابكوا معيَ السيدَ الجسورَ الوَهوبا
شُبّكوا ساعديه من فوق صدر كان في الرّوْع بالمنايا رحيبا
واعرِضوا سيفَه على راحتيْه واركزوا الرمح من يديه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جندَ روما ودَعوني وسيفَ روما السليبا
أنا وحدي له ديارٌ وأهلٌ إن دعا دارَه ونادى النّسيبا

[ينسحب الجنود]

ويحَ لي قد طلبتُ عند طباع النـ ـاس ما عَزّ عندهم مطلوبا
خَلَق الناسُ للقويّ المزايا وتجنّوْا على الضعيف الذنوبا
واحتفوْا في الحياة والموت بالغا لب فانظرْ هل عظّموا مغلوبا
شيّعوا الشاةَ جيفةً بمُداهم واتقَوْا وهْو في الرّمام الذبيبا

انوبيس :

الوقارَ الوقارَ يا لَبْأة النيـ ـل ولا تجعلي الزّئيرَ النحيبا
وقِفي للخطوب في عزّة الملـ ـك وفي كبره تُذلِّي الخطوبا

[يدخل جندي من جنود اكتافيوس]

الجُندي :

قيصر أكتافيوسُ آتي يعودُ أنطونيوسَ قيصرْ

كليوباترا :

قيصر ! فرّ الأسير منـه مَن في حمى الموت ليس يُؤسر

[يدخل اكتافيوس ومعه جنود]

أكتافيوس :

سلامٌ مَلِكةَ الوادي سلامٌ كاهنَ المُلْكِ
يقولُ الناسُ أنطونيـو هنا لـم يَبتعِـدْ عنـكِ

كليوباترا :

نعم لـم نَفترقْ بعد وإن أمعن في تركي
وهـذا الجسـد الفـاني جَـلاهُ الرّيب والشك

اكتافيوس :

إذن قد قُضِيَ الأمرُ وصار الليثُ للهُـلْك
كليوباترةُ لا تَخْشَيْ فلن آخذَه مِنك !

كليوباترا :

أبي تَهْـزأُ أم بالمَيْـ ـتِ أم بالمـوقفِ الضّنك
إن استطعتَ على مالـ ـك من بَطش ومن فَتك
وما حَوْلك من خيل وما تحتك من فُلْك
فخُـذْه من يـد المـوت ومن عاجـزةٍ تبكي !

[يدنو جندي من جنود اكتافيوس ليتحقق موت انطونيوس]

كليوباترا :

مكانَك يا عبدُ لا تَهْتِكنْ على سيد الهالكين القِناعْ
تُريد لتَكشِفَ عنه الغطاء عسى تحته حيلةٌ أو خداع
عَبَسْتَ به وهو تحت الطيا سِ مُلقى السلاح قليلَ الدفاع
ولم تَحتشِمْ بُقعاً من دم عليهنّ تَحسُدُ مصرَ البقاع
رُويدَك، ما الموتُ مُستبعدٌ ولا هو مستغربٌ من شجاع
وإن التاوتَ فعلُ الثعا بِ ليس التاوتُ فعلَ السباع

اكتافيو :

أنا تلك سيدتي إنه ... فتى طاهرُ القلب حرّ الطباع
أراد ليحتاطَ لي جُهدَه ... ويُخلصَ في خدمتي ما استطاع
تَنحّ أخا الجند ما أنت والمي ... ت! لا يَقرَبُ الشمس إلا شعاع!
أتأذنُ سيدتي أن أطيـ ... ـف بخِدن الصّدام رفيق الصّراع؟
ومن كنتُ تحت القنا ظِلّه ... ومن كان ظِلّيَ تحت الشراع
وكنا نَشيد لروما الفَخارَ ... ونَجني لها الغار من كل قاع
ونأتي القِلاعَ فنحتلها ... وإن بعُدت كالنجوم القلاع
ونَركزُ في السهل أرماحَ روما ... ونُطلِع أعلامَها في اليَفاع ؟
بإذنك ؟

كليوباترا :

قيصرُ لا إذنَ لي ... أينهى ويأمر من لا يطاع ؟
تصرّف بجُثمانه كيف شئـ ... ـتَ فليس له اليومَ منك امتناع
وما جُثّةُ الليث إلا لقىً ... إذا الناب طاحت أو الظفر ضاع؟

[يتقدم اكتافيوس فيرفع القناع عن وجه انطونيو]

اكتافيوس :

لقد حسَم الموتُ ما بيننا وَغضّ اللجاجَ وَفضّ النزاع
فمن حَقيَ اليومَ بل واجب علي أقدّسُهُ أن يُضاع
أقبّلُ ما قَبّل الغارُ منـ ـك واهتفُ: أنطونيوس الوداع

[ستار]

الفصل الرابع

« في القصر الملكي ، في غرفة العرش ، شرفة مطلة على »
« البحر . كليوباترا متكئة على حافة الشرف ، شرميون »
« وهيلانة في اقصى الحجرة تنهمر من عينيها الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

نام « مَرْكو » ولم أَنَمْ ... وتَفَرّدتُ بالألَمْ
ليت جُرْحي كجُرحه ... لَقِيَ الموتَ فالتأم
قاتلَ اللهُ ماضياً ... قَتَلَ المُفرَدَ العَلَم
أنطوانُ انفُضِ الكرى ... ساعةً وانقُلِ القَدَم
قُمْ كأمسِ اغنم الهوى ... واشربِ الراحَ بالنَّغم
وتَخَيَّرْ على المُنَى ... وتَمَتَّعْ من النَّعم
واغمرِ الأرضَ بالقنا ... وتَغلَّبْ على الأمم
وقُدِ الخيلَ في الوِها ... د ووثباً إلى القِمَم
أيها العين ابصِري ... إنما كنتِ في حُلُم !

[ملتفتة إلى شرميون] :

ياشرميون بلغنا موْقِفاً حَرَجاً ... لا الرأيُ ينفعنا فيه ولا الباسُ
لم يَبقَ ثقبُ رجاء كنت ألمحُه ... إلا تعرّضَ حتى سدّه الياسُ

[تلقي نظرة على الاسكندرية من الشرفة]

نجمي يُحدّثني بوشْك أفوله ... إسكندرية ، هل اقولُ وداعا؟
وشّيتُ برّك جدولاً وخميلةً ... وكسوتُ بحرَك عُدّةً وشراعا
وأنا اللّهاةُ وقد ملأتُك غابةً ... وأنا المَهاةُ وقد ملأتُك قاعا
قد خفتُ من بعدي عليك مما لكا ... يُطلِقْن فيك الفاتحين سِباعا
يأتين زرعك بالرّياح عواصفاً ... ويجئنَ ضرعك بالذئاب جياعا
فإذا الحضارةُ بعد طول بنائها ... قد دُكّ ركنُ بنائها وتداعى

شرمبون :

بإيزيسَ سيدتي بالولاء ... بطول التعاشر والمُصطحَبْ
بمالي ببابك من خدمة ... ومن صُحبةٍ تُشبهان النّسب
على أي وجهٍ أدَرْتَ المصير ... وقلّبْتَ رأيك في المُنقلب؟
فهذا السكونُ يُثيرُ الشكوكَ ... وهذا الهدوءُ يثيرُ الرّيب
وماذا اعتزمتِ؟ وماذا كتمت؟ ... أبيني فما بيننا من حُجُب
ولي في حياتك رأيٌ يُساقُ ... وليس عليّ إذا لم يُصِب

كليوباترا :

إذن فاذكري أن خصمي العنيد ... يخافُ انتحاري ويخشى الهربْ
وليس الذي يَشتهي لي الحياةَ ... ولكن له في حياتي أرَب

له في غـــد مَوْكبُ الفاتحي ... ن إذا أقبلوا في جلال الغَلَب
يَجرّون في رومـةَ الأرجوانَ ... وقد بَرَزتْ في الثياب القُشُب
وتزدانُ بالغـــار هاماتهم ... إذا ارتفعت في الخميس اللّجِب
يُحاولُ قيصرُ مني المُحالَ ... ويذهب في غير وجه الطلب
يريـدُ ليَعرضَني في غـــد ... على شعب روما كأني سَلَب
ويفضحُ مصـــر وسلطانَهـا ... وتاجَ العصور وعرشَ الحقَب
لقد ساء تدبيرُ أكتافيوسَ ... ولم يَلقَ من خُدعتي ما أحب !

[تسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسّ قادِم

هيلانة : أجلْ دبيبُ حارس أو خادِم

كليوباترا :

بل حارسٌ جافٍ ... من حَرَس القصرِ
مُعـــربِدُ الخطـو ... من نشـوة النصر
لا تسـعُ الأرض ... رِجليْهِ من كِبرْ

شرميون :

مَلْكَتي دعي هـذه الفِكَرْ
جنـدُ رُومـةٍ يَعْبُـدُ البِـدَرْ
في سـبيلها يركَبُ الغَرَرْ

كليوباترا :

شرميون صَهْ إنـه حضَـرْ

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراء الجندي؟

الحارس : رسالة من عبد

هل تأذنين ؟

الملكة : أدِّ

الحارس : أيها المَلْكَةُ قد جا ءَ إلى القصر غلامْ
في ثياب الحقل حُلوُ الـ شكل يمشوق القوام
جادل الحرّاسَ في حذ قٍ ورفق بالكلام
يَدَّعي أن أباه كان عبداً للمَقام
ناله بستانُ تين من أياديك الجسام

فهْو يُهدي لك باكو رتَـه في كل عـام

الملكة [هامسة] :

شرميونُ ذاك حابي وَجنـاه في يمينهْ
جاء في المِيقات يُهدي ليَ باكورةَ تينه

[للحارس]

ألا تَقبَلُ يا حـار س مني هذه البَدْره؟

الحارس: بشكران وهبهات على الشكران لي قدره

الملكة : والآن لو تحضر لي الفلاحا لعله يُحدث لي انشراحا
إني نسيت البَسطَ والمزاحا

الحارس: على السمع والطاعه سآتيك به الساعه

[يخرج الحارس

الملكة: يا شرميون تعلمي الدنيا ويا هيلانة اختبري الزمان القاسي
إن التي حُرست بأبطال الوغى باتت تصانعُ سِفْلةَ الحراس

[يدخل حابي في ثياب فلاح ومعه حارس]

هيلانة [همساً] :

حابي نعم وتلك نظرتهْ وهذه مِشيَتـه وَخطرُتة
يا ليت شعري ما تكون سَلّتُهْ ؟

حابي : تحيـــةٌ للمَلِكهْ ونعمـــةٌ وبَرَكهْ
ونفسُ عبـدها لهـــا وكلّ ما قد ملكه
ســـيدتي جئت إلى بحرك أهـدي سمكه
أحمِلُ تيناً ولو اسـ ـتطعتُ حملت مملكه

حابي : سـيدتي

الملكة: أدنُ فـــإنه ابتعدْ وقل فمايسمع غيرنا أحدْ

حابي : سـيدتي

الملكة: حابي ، أنوبيس اجتَهدْ لناوأنجز الغداة ماوعدْ !
يُريدُ أن يَشفيَني مما أجد وأن يبقي بمملكتي عار الأبد
جِئتَ كما يأتي لوقتـه المَدد

وقَيْتَ لي حابي ولم تكنْ تَقي ضع السّلال وانصرفْ لابل قف
حتى ترى كيف يكونُ مَوقفي

[تلقي نظرة على السلال]

مالي مُلئتُ من المنيّة رهبةً إن المنيةَ في رقاب النـــاس
آسى الجراح جَزعتُ عند لقائه والنفسُ تجزَعُ من لقاء الآسي

إني طويتُ بساطَ كل مُدامة ... لم يبقَ إلا شربُ هذي الكاس
يا خادميّ بل ابنتيّ تلطّفا ... في البحث حتى تأتيا بأياس
فعسى يُغنّيني نشيدَ الموت أو ... نغماً أجود عليه بالأنفاس

شرميون :

مَلِكتي نادي أياسا ... إنه بالقرب منكِ
هو في المقصورة الأخ ... رى مع الباكين يبكي
فكرُه فيكِ ولا يَج ... سرُ أن يَسألَ عنك

الملكة:

يا رَوحَ صحبي بعد طول سرورهم ... قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئي بهم يا شرميونُ لينظروا ... جَلَدي فيَهدأ بعضُ ما يَجدونا

[تخرج شرميون]

كليوباترا [تنحني على زنبقة في اصيص] :

زنبقةٌ في الآنيهْ ... ضحيةُ الأنانيهْ
جَنتْ عليها غُربةَ الـ ... أسر الأكفّ الجانيهْ
وبُدّلتْ من سَعة الـ ... بُوَة ضيقَ الباطيهْ
يسقونها من جَرّة ... بعد العيون الجاريه

يا جارتا شأنك لا يُشبهُ إلا شانيه
لم يبق من ملكي العريـ ـض غير دار خاويه
وكلنا ذابلةٌ عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغـ ـنا من حياة فانيه

[ترجع شرميون ومعها أياس وأنشو وغيرهم]

الملكة [إلى انشو] :

أنشو يَعزّ عليّ أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمّ والتفكيرُ
أنشو ألا قولٌ يَسرّ وضحكة إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعت يسرني أعلى سروري اليوم أنت قديرُ؟

أنشو : سيدتي جرى بما فيه سرورُك القدرْ
من لا تسرّه السما ءُ لا يسره البشرْ
الملكة: أياسُ، هل من صوتِ؟ غَنِّ نشيدَ الموت

[أياس يغني هذا النشيد]

يا طيبَ وادي العدَمْ من منزل من منزل
لم تمش فيه قدمْ للعُزّلِ وادٍ حَلِ
أنا فيه لحبيبي وحبيبي فيه لي

***

يا موتُ مِل بالشّراعْ واحمِلْ جَريحَ الحياهْ
سِرْ بالقلوع السّراعْ إلى شُطوط النّجاه

***

شِراعُك الفِضّي في لُجّه النّسبري
كالحُلْمِ في الغَمضِ يجري ولا يجري

***

في ظلِ ليلٍ ساجْ أقسم لا يَسري
مُغلّلِ الدِيباجْ مُطيَّبِ السّتر

***

في يقظةٍ يَظهرْ لي أم أرى حُلْما
فُلْك من الجوهر يَخترقُ الظّلما

***

على الدجى لمّاح يَحسَبُهُ نجما
ليس به ملاّح يسلُكه اليمّا

***

أضْوى من الفجر في ظُلمة الأسداف
من نفسه يجري لم يُجرِه بِجذاف

***

مَدّ شِـراعَ النـورْ يا حُسنَ ما مـدّا
كاللـؤلـؤ المنثـور لو يَنفَحُ النَّـدّا

***

يا لكَ مـن زورَقْ مَلاّحـه الأقـدارْ
ينجـو بـه المُغـرَقْ من لُجّـةِ الأكدار

[يدخل الحارس]

الملكة: ما وراء الحـارس ؟

الحارس: الطا عـة يا ذاتَ الجلالهْ
قائـد يحمِـلُ من قبـ صـرَ أكتافو رسالهْ

الملكة: أدخـله ، أدخـلْ رسـولَ قيصـرْ

[يخرج الحارس ويدخل القائد]

القائد: قيصرُ العـالي إلى سـ ـيـدتي يُهـدي التحيهْ
هو في الثكنة بالقر ب من الـدار السنيه
يُظهِـرُ العَطفَ عليها وهي بالعطف حَرِيّه
ويقولُ الأمر مـا تأ مُرُ في الاسكندريه
ولها الوادي وما يحـ ـمِلُ مُلكا ورعيّـه

وبنوها يَرِثون الـ ـمُلكَ من روما الوصيه
وإذا حَلّتْ بروما وجدت روما حَفيّه
تتلقّاها كأغلى درة في القيصريه
ما الذي نَقتَرِحُ المنـ ـكةُ ما تُملي عَليّه
لِتقلْ سيدتي حا جتَها تُقْضَ العشيّه

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه !
تتلقاها كأغلى درة في القيصريه !

[تضحك في تهكم والم]

أيها القائدُ أدّيْـ ـتَ فأحسنتَ الأداءْ
بَلّغنْ قيصر عني كلّ شكر ودُعاء
ثم زِدْ أمنيةً قد بَقيَتْ لي ورجاء
أنا لا أكتُمُه ما سَرّ من أمري وساء
لِيَ سرٌّ كاد عن نفـ ـسيَ يَزوِيه الخفاء
صُنته عن صاحباتي وصحابي الأمناء

حبذا لو زارني قيـ صرُ في هذا المساء
وله الشكرُ إذا لم يأتِ أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتي لمولايَ قيصرٍ وأنقلُ ما أبديتِ من رَغباتِ
ولمْ لا يُلبّي دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى له مُستعجِلَ الخطوات؟
وقد كان يوليوسٌ يقومُ ببابهِ ويَمثُلُ أنطونيوسُ في العتبات!

كليوباترا [بعظمة]:

أسأتَ أخا الرومان فهم إشارتي

القائد :

إذن فَهبي لي تلك من هفَواتي

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أراني لم يُحسِنْ إليّ مُعاصري ولم أجدِ الانصافَ عند لِداتي
فكيف إذا ما غيبَ الموتُ ذاتي وبَدّد أنصاري وفضّ حُماتي!
كأنيَ بعدي بالأحاديث سُلطت على سيرتي أو وُكلتْ بحياتي
وبالجيل بعد الجيل يَروي زخارفاً فمن زور أخبارٍ وإفك رُواة
يقولون أنثى أفنت العمرَ بالهوى بهيميّة اللذات والشهوات

فِداً لغرامي بالرجال وحُسنِهم غرامُ الغواني أوهوى الملِكات
فليس الغلامُ البارع الحسن فتنتني ولا الرائعُ الأجلاد والعضلات
ولم يَستثر وَجدي من الروم فتيةٌ جُنون العذارى فتنةُ الخفِرات
ولا كلّ غصن من بني مصرَ مائلٍ يَطيرُ إليه قلبُ كل فتاة
يموتون بي عشقاً ويَشقون بالهوى فكم من حياة في يدي ومات
ولكن عشِقتُ العبقريّةَ طفلةً وفي الغافلات البُلهِ من سنواتي
كلِفتُ بكهل أحرز الأرض سيفه وحيزتْ له الدنيا من الجنبات
إذا هب من غرب البلاد تلفّتتْ بلادٌ بأقصى الشرق منذعرات
تَعثّر حظي بعد طول سلامة وأقلع نجمي بعد طول ثبات
ومن يمش في ورد الأمور وشوكها يَعُدّ الخطا أو يحسِبِ العثرات

[تنظر إلى السلال]

يا مرحبا بالسّلّةْ والرّقْبِ المُطِلّةْ
الكافياني الذّلّهْ

[ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحاملي]

كليوباترا:

أدخلي بي يا شرميون على طفْ لِيَ أودِّعْهُم الوَداع الرهيبا

فعساهم إذا تحجّب صدري وجدوا صدرَك الحفيَّ الرحيبا

[لحابي وهيلانة] :

ولديّ اهجروا القصورَ فإني قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجةٌ وفيها فضولٌ يُرهِقُ الحبّ واشياً ورقيبا
خلّيا عنكما المدائنَ يا بُنيَّ فضوْضاؤها تُميت القلوبا
إن لي في سهول طيبةَ حقلاً طيبَ الماء والهواء خصيبا
غرستْه يد الشباب فأضحى وارفاً كالشباب حُسناً وطيبا
ألّف الحبّ من نواحيه أيْكا جمع الطيرَ هاتفاً ومُجيبا
يُسمعُ البُلْبُلُ العشيقةَ فيه وتُغني الأليفةُ العَنْدليبا
أفُقٌ لا يُظِلّ إلا مُحباً وثرى لا يُقلّ إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافيَ الحب والهوى المسكوبا
والعبا عند كلّ ماء غدير تريا الماءِ للحَبابِ لعيبا
وسلا الوردَ هل تنفّسَ في الور د وهل ناسم البعيدُ القريبا
أدركا لذةَ الشروق ولمّا تبلغِ الشمسُ بالحياة الغروبا

[تخرج كليوباترا وشرميون]

حابي :

هيلان، هذا مقال النصح من ملكٍ ... فما تَرَيْنَ وما تَنوين هيلانا
هلُمّ طِيبةَ نـنزل في خمائلها ... ونبْنِ مثلَ بناء الطير دُنيانا
كطائرَيْن على بحرٍ وعاصفةٍ ... قد آنسا من وراء الشّطّ بستانا
تدار كتْنا أبرّ المالكاتِ بهِ ... وأشرفُ الناس إحساساً ووجدانا

هيلانة :

حابي، عرفتَ الخلال الطيّبات لها ... وكنتَ أمس أقلّ الناس عِرفانا

حابي :

خلّني الجفاءَ حياتي إن ساعته ... مضتْ وهذا أوانُ السلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أني قد سدلتُ على ... ما كان من نَزَعات الرأي نسيانا
وانني اليوم أبكيها وأندُبها ... ولا أقيسُ بها في الطهر إنسانا
اليوم ضحّتْ وزكاها الفداءُ كما ... زكّى المقرّبُ باسم الله قربانا

هيلانة :

إن التي شب في نَعمائها صِغري ... ونبّهتْ لي سُلطانها شانا
إن لم أمتْ دونها أو لم أمت معها ... فما جزيتُ عن الاحسان إحسانا

حابي :

والحبُ هيلانَ ؟ ماذا تصنعين به

هيلانة : إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابي أراها أزمعتْ وأرى الفجيعةَ واقعهْ
فاذهبْ فجِئْ بأنوبسٍ فعسى يردّ الفاجعه

حابي : وسواءٌ أردّها أم أبى ذلك القدر
في غدٍ أيها الملا كُ إلى طيبةَ السفر

[يخرج حابي]

هيلانة : ويح حابي اعتقادُهُ أن سأحيا فنلتقي
ليتني نِلْتُ قبلةً منه قبل التفرّق

[تدخل كليوباترا وفي اثرها شرمبون]

كليوباترا :

بروحي وإن لم تبقَ مني بقيّةٌ صغارٌ ورائي ذُوّقُ البُتم نوّحُ
أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أنني حَمَلتُ عليهم ما يَجِلّ ويَفدَح
وقد أشتهي عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لي ولا النبل يسمح
فصفحاً صغاري إن شقيتم بصرعي وإني لأرجوا أن تغضّوا وتصفحوا

وَداعاً صغاري صيّرَ الله يُتمكم ... إلى خير ما يكفي اليتامى و يُصلح
أطفتُ بكم والنومُ تَسري سناتُه ... على صفحات كالأهلة تَلمَعُ
وما منكمُ في الحزّ إلاّ حمامةَ ... عليها طليلٌ قاعمَ الفَرْع أفيَح
تنامُ وماتدري الكرى ماوراءه ... ولا الصبح في ظل الرّبا كيف يصبح
أتغدوا على الدنيا كأمس طليقةً ... تُضحي اليوم أم يُغدى عليها فتذبح

[ملتفتة إلى هيلانة شرميون] :

فيم هيلانةُ تبكي ... ن وأنت شرميون
كفكفا الدمعَ فلا شدّ ... ة إلاّ وتهون
واعلما بِنتيّ أن الـ ... بؤسَ والنعمى دُيون

[تركع أمام تمثال ايزيس]

اليومَ أقصرَ باطلي وضلالي ... وخلتُ كأحلام الكرى آمالي
وصحوتُ من لعب الحياة ولهوها ... فوجدتُ للدنيا خُمارَ زوال
وتلفتتُ عيني فلا بمواكبي ... بصُرت ولا بكتائبي ورجالي
وطِئتُ بساطي الحادثات وأهرقت ... كأسي وفضّتْ ساسري ونِقالي
إزيسُ ينبوع الحنان تعطّفي ... وتلفّتي اضراعتي وسؤالي
أنت التي بكت الأحبّة واشتكت ... قبل الأرامل لوْعَة الإرمال
إني وقعتُ على رحابك فارحمي ... ذلّ الملوك لمجدك المُتعالي

هل تأذنين بأن أعجّل نقلتي ... وأحُثّ عن دار الشقاء رحالي
وعُلاكِ ما أدعُ الحياةَ جبانةً ... أو ضيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةقالي
اني انتفعْتُ بعبقريّ جمالها ... وتمتعتْ من عبقريّ جمالي
وجمعتُ بين شعورها وعواطفي ... وقرنتُ رَحْبَ خيالها بخيالي
ـــ ووجدتُها قد خلّدتْ أبطالها ... فبسطْتُ سلطاني على الابطال
ـــ بنتُ الحياة أنا وتشهدُ سيرتي ... ما كنتُ من أمي سوى تمثال
ـــ منها تناولتُ الرّياءَ ورائةً ... وأخذتُ كلّ خديعة ومحال
ـــ وقسوْتُ قسوتَها ولنتُ كلينها ... واقتستُ في صدّيها ووصالي
ولربما رَشدتْ فسرتُ برُشدها ... وغوَتْ فأغوتني وضل ضلالي
ووجدتها حباً يَفيضُ ولذةً ... فجعلتُ لذّاتِ الهوى أشغالي
يومي بأيامٍ لكثرة ما مشت ... فيه الحياة وليلتي لليالي
ـــ ولقد لقيت من الحياة صَبيّةً ... ما جل من بؤس ورقة حال
ـــ فخلعتُ مُلكي طفلةً وشردت في ... صدر الصبا ورأى المكارهَ آلي
شرعتْ عليّ السوْطَ في كتابها ... واليومَ تضربُني بدرس غالي
ـــ ياموتُ هل حَرَجٌ على مُستنجد ... بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال؟

يومي أعجّلهُ ولو لم انتحرْ للقيتُ يوماً ما له من تالي
ـــ ياموتُ أنت أحبّ أسراً فاسبِني لا تعطِ روما والشيوخ عقالي
ـــ ياموتُ لا تطفي بشاشة هيكلي واحفظْ ظواهرَ لحتي وجلالي
ياموتُ طفْ بالروح واسرقها كما سرق الكرى عينَ الحليّ السالي
ـــ حتى أموتَ كما حييتُ كأنني بيتُ الحيال ودُمية المثّال
ـــ وكأنّ إغماضَ الجفون تناعسٌ وكأن رقدتيَ اضطجاعُ دلال
ـــ سرْ بي الى انطونيو في نضرتي ورُواء جلبابي وزينة حالي

[تقوم إلى إحدى السلال فتكشف التين عن افعى]:

هَلُمّي الآن مُنقِذتي هلمي وأهلاً بالخلاص وقد سمى لي
شربتُ السمّ من فيك المفدّى بسلطاني وزِدْتُ عليه مالي
على نابيْك من زُرق المنايا شفاءُ النفس من سُودِ الليالي
وبعضُ السم تِرْياقٌ لِبعض وقد يَشفي العُضالُ من العضال
✓ دعوْتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ فبُعداً للحياة وللنِّضال
هَلُمّي عانقي أفعى قصور بها شوقٌ إلى أفعى التلال
سَطتْ روما على مُلكي ولصتْ جواهرَ أسرتي وحُليّ آلي

فرُمتُ الموتَ لم أجبُنْ ولكن ... لعل جلالَه يحمي جلالي
فلا تمشي على تاجي ولكن ... على جسدٍ ببطن الأرض بالي
وقد علم البريّةُ أن تاجي ... تَغُشّه الشمسُ والأسر العوالي
يُطالبُني به وطنٌ عزيزٌ ... وآباءٌ ودائعهُم غوالي
أأدخلُ في ثياب الذل روما ... وأعرَضُ كالسّبيّ على الرجال؟
وأحدَجُ بالشماتة عن يميني ... ويَعرِضُ لي التهكمُ عن شمالي؟
وألقى في النّديّ شيوخَ روما ... مكانُ التاج من فَرْقيّ خالي؟
وأغشى السجن تاركةً ورائي ... قصورَ العزّ والغرَفَ الحوالي؟
وتحكمُ فيّ روما وهي خَصمي ... وتُسرفُ في العقوبة والنكال؟
يَراني في الحبائل مُترَفوها ... وقد كان القياصر في حِبالي
إذن غيرُ الملوك أبي وجَدّي ... وغيرُ طرازهم عَمّي وخالي!
سأنزلُ غيرَ هائبةٍ إذا ما ... تلمّظت المنيّةُ للنزال
أموتُ كما حَييتُ لعرش مصر ... وأبذُلُ دُونه عرشَ الجمال
حياةُ الذلّ تُدفَعُ بالمنايا ... تعالي حيّةَ الوادي تعالي

[تتناول الأفعى وتمد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها إلى السلة]

يا ابنتَيْ وُدّي .. هلمّا زيّناني ... ... للمنيهْ
غلّلاني .. طيّباني .. بالأفاويهِ ... الزكيه
ألبساني حُلةً ... تُعْجِبُ أنطونيو ... سنيه
من ثيابٍ .. كنتُ فيها أتلقاه ... ... صبيه
ناولاني التاج ... تاجَ الشمس .. في مُلْكِ .. البريه
وانثرا .. بين .. يديْ .. عرشي .. حين البهيه

[تموت بين وصيفتيها]

شرميون [تتناول من إحدى السلال أفعى] :

كليوبترا ويا لهفي عليكِ يا كليوبترا
وَصفاتُك في الدنيا وَصيفاتك في الأخرى

[وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت]

هيلانة [تفعل ما فعلته شرميون] :

كليوبترا ذهبتِ اليو مَ بالدنيا كليوبترا
تعالَيْ أيها الأفعى أريحيني أنا الأخرى

[يدخل أنوبيس وحابي]

أنوبيس :

انسلتِ المهرَةُ من قَيْدها وأفلت الطيرُ من الصائد !

حابي :

هيلانَ ، يا لهفاً على الحبيبهْ على الجمال وعلى الشبيبهْ
على الفتاة الحرّة النجيبهْ

[يتحسس جسمها]

يا للحياةِ ماتني دبيبا أبي ، تأمّلْ جسمها الرطيبا
واسمعْ تجدْ لقلبها وجيبا

أنوبيس :

حابي نسيتَ حُقّةَ النجاة!

حابي : هيهاتِ أعصيك أبي هيهاتِ
إن أنسُ أشياءَك أنسَ ذاتي !

[يخرج الحقة من جيبه]

خُذْها

أنوبيس :

بل اسكب في فم الفتاةِ لعلها تصحو من السّباتِ

[يشتغل حابي بإيقاظ هيلانة]

أنوبيس [على جثة كليوباترا] :

بنتي رجوتُك للضحية والفدا فوجدتُ عندك فوقَ ما أنا راجي

بلغني رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما أناراجي

(صفحة ١٠٨)

إن تُصبحي جسداً فنفسُكِ حرةٌ وعُلاكِ سالمةٌ وعِرضُكِ ناجي
سيقولُ بعدكِ كلّ جيلٍ مُنصف ذهبتْ ولكن في سبيل التاج

[ثم يلتفت إلى جثة شرميون] :

وأنتِ أيضاً شرميونُ جيفهْ متِّ ولكن ميتةً شريفهْ
ما أعظمَ المَلكةَ والوصيفهْ !

حابي : أدنُ أبي ألقِ النظرْ يا لَعجائبِ القدرْ !
انوبيس : أحدث ترياقي الأثرْ ؟
حابي : أنظرْ أبي ترياقك الـ ـمحسن ماذا منحا ؟
أنظرْ فهذا مَلَكي من رقدةِ الموتِ صحا
قد فتح العينيْن بعـ ـد اليأس من أن تُفتَحا
وهذه أنفاسُهُ رَيْحانُها قد نَفَحا
مولاي قد فرّتَ من سعادتي ما نَزحا
أنت الذي رَددتَها رُوحاً وكانت شَبَحا
يا قلبُ كيف لم تطِرْ عن الضلوع فرحا
هيلانة : يا ويح لي ! ويحَ لِيهْ هل صَدقتْني عَينيهْ ؟
حابي ، أفي الدنيا أنا ؟
حابي : بل أنت دنياي هنا

هيلانة : منذا حنى عليّهْ حتى بُعثتُ حيّهْ ؟

حابي : أبي الذي شفاك يا مَلاكي

أنوبيس : لا بل مَلاكُ الحب قد شفاكِ
وأدمُعُ الإخلاص من فتاكِ

هيلانة : أبي لقد مَرّ عليّ الموتُ وكنتُ من عذابه نَجَوْتُ
علامَ حُلْتَ بينه وبيني؟ الموتُ لا يُذاقُ مَرّتَيْنِ

[ترى جثة الملكة وهي تتلفت]

رحماكِ آلهةَ الوادي ذهلتُ فلم أذكر ملاكاً وراء العرش مضطجعا
بالأمس، لا، لا بل اليوم التحقت به صُرعتُ بالناقع الساري كما صُرعا
لقد رَحلنا عن الدنيا الغرور معاً مالي رَجعتُ إلى الدنيا وما رجعا
ليت الطبيبَ الذي داوى فأخرجني إلى الحياة على الدنيا به طَلعا
مليكتي، ربتي، صفحاً ومغفرة إن المروءةَ كانت أن نموت معا

الكاهن : بُنيّتي ...

هيلانة : صَهْ أبي،

الكاهن : لا أنتِ واهمةٌ
فلستُما في مُلاقاة الرّدى شرَعا

وقفتما موقفاً في الخَطْب مختلفاً لو جرّبتْ فيه غيرَ الموت ما نفعا

حابي : تعالَيْ نحْيَ في الحقْلِ مع الطيرِ كما تحيا
هَلُمّي الحبّ هيلانـ ـةُ فالحبّ هو الدنيا
أبي دونك بارِكْنا وإن شئتَ فشاركنا

أنوبيس : إذا فارقتُ محرابي فمن يبكي على مِصرا ؟
سأبقى ها هنا ابْنَيّ إلى أن أقضيَ العُمرا
هَلمّا ابنيّ باسم الله سيرا وابنيا الوكرا
هلما جنةَ الوادي هلما طِيبةَ الغرّا
لئن فرّقنا الدهرُ فقد تجمعُنا الذكرى

[يخرجان]

[يسمع صوت بوق] :

أنوبيس : البوق دوّى قيصرُ أقبلْ

[يدخل حارس]

الحارس : مولاي قيصر

[يتنحى عن الباب ويدخل قيصر وفي معيته الطبيب أولمبوس]

انوبيس :

ما يبتغي قيصرُ من اسيرته ؟ إن التي أعدّها لزينته

يَدخل روما وهي في كتيبتهْ تَزيدُ في مَوكبه وقيمتهْ
ماتتْ ولم تنزلْ عن مشيئتهْ بُورك في النيل وفي عَقيلتهْ

قيصر :

آلهةَ الرومان ! ماذا أرى ؟ إمرأةٌ تَسخَرُ من قائدِ
قدأبطلَت كيْدي على ضعفها ولم تَزلْ تَسخَرُ بالكائد
في الجسد الحيّ تمنَّيتُها لم أبغها في الجسد البائد

[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

انويس [لنفسه] :

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ !
يَفدُرُها وعهدُه ببابها قريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثرَ الجِراح!
أليستْ في الفَناء أرقّ لوناً وأندَى من رياحين الصباح
فهل تدنو فتكشف كيف ماتت أبالسم الزّعاف أم السلاح؟

[يقترب أولبوس وينحني على صدر الملكة من الناحية التي رميت فيها الأفعى]

عجيب يا طبيب أرى قتيلًا ولكن لا أرى أثر الجراح!؟

(صفحة ١١٣)

أنبوس :

جبين مُشرقُ الغُرّهْ ووجهٌ ضاحكٌ نَضْرَهْ
وعينان كأن المو ت في جفنَيْهما كَسْرَهْ
وهذا فمُها تبدو الـ ـمنايا عنه مُفتَرّهْ
ولكن قيصرُ ادنُ انظرْ هنا السرّ هنا العبره
فبين السّحر والنحر كمثل الحَدَش من إبره
مكانُ الناب من صِلّ شديد البأس والشّرّهْ

[تلدغه الأفعى]

إلهي ، قيصري ، آه لقد مَسّتْ يدي جمرَهْ
سرى السمّ بأعضائي وعَمّت جسدي فَتْره
وجاءت سَكْرَةُ الموت فلا صَحو ... من السكره

[ثم يسقط ميتا]

أكتافيوس :

ويل النفوس من فجاءات القدرْ !
ورِيحَ أنبوس بالأفعى عَثَر

أنوبيس [لنفسه] :

قد وقع الحافرُ فيما قد حَفر

قيصر :

وَداعاً كليوبَترا إلى يوم نلتقي ... وتَنفُضُ عنها الهامدين المقابرُ
محا الموتُ اسبابَ العداوة بيننا ... فلا الثأر ملْحاحٌ ولا الحقدُ ثائر
وما استحدثت عند الكرام شهانةٌ ... صُروفُ المنايا والجُدودُ العواثر
وَداعاً وإن نحن اقتتلنا وجرّدت ... حُسامَيْهما أوطانُنا والعَشائر
تحدّيتني بالموت حتى قهرتني ... وما ليَ سلطان على الموت قاهر
ترفّعتَ عن قَيْدي ومُتِّ عزيزة ... وأيدي المنايا للقيود كواسر
وأنت التي فازعت روما مكانَها ... وجرّتْ بناديك القيودَ القياصر
لعبتِ بأنطونيو ويوليوسَ حقْبة ... كما جاء بالمسحور أو راح ساحر
وما انا إلاّ سيفُ رومةَ باتراً ... أصيبَ به سيفٌ لرومةَ باتر
زَجرتُ فلم أُسمَع فقاتلت مكرهاً ... وفي الحرب إن لم تردع السّلم زاجر
وأنطونيو صهري الكريم بمثله ... يُطاولُ انسابَ الملوكِ المُصاهر
وَداعاً عروسَ الشرق كلّ ولاية ... وإن هزّت الدنيا لها الموتُ آخر

[يخرج أكتافيوس وحاشيته وتزف التحايا له من الأبواق والمناجر خارج القصر]

أنوبيس :

اكثري أيها الذئاب عواءً وادّعي في البلاد عزاً وقهرا
أنشدي واهتفي وغني وضجي واسبحي في الدماء نابا وظفرا
لا وإيزيسَ ما تملّكتِ إلا وادياً من ضباغم الغاب قفرا
قسماً ما فتحتُم مصر لكنْ قد فتحتُم بها لرومة قبرا

« ستار الختام »

نظـرات تحليلية

كليوباترا والتاريخ :

في عصر من عصور التطوّر السياسي الدائم على عرش مصر ، وفي النصف الأخير من القرن الأوّل قبل الميلاد ، احتكت عظمة الامبراطورية الرومانية بالسياسة المصرية القديمة ، وطوت في هذا الاحتكاك آخر صفحة من تلك المدنية الزاهرة التي اصطبغت بها مصر في ظل البطالسة وتحت حكمهم أكثر من ثلاثة قرون .

وجاء دور المؤرخ ليسجل أنباء هذا الاحتكاك فكان من حظ العلم :

(أوّلا) أن استقى هذا التاريخ مادته من مصدرين كانا كل وسائل التاريخ القديم . فالمصدر الأوّل آثار يعرض لها عادة في مثل هذه العواصف السياسية المضطربة غير قليل من التزييف والضياع . والمصدر الثاني رواة يجتهدون في رواية الحوادث اجتهادا ، فيخطئهم التوفيق أحيانا ، فيروونها لا كما كانت ولكن كما اشتهوا أن تكون .

(ثانيا) أن نهضت بهذه المهمة الخطيرة أقلام ، إما رومانية وإما مدينة لروما هوى أو ثقافة ، فسجلت هذه الأقلام تاريخ هذا الانتقال السياسي في أسلوب قصصي ، فاز فيه قياصرة

الرومان بأكاليل الغار كلها، فالظاهر من بينهم بطل، والمخذول منهم ضحية، وللضعيف على كل ما فعل أو أسف علل قوية من هوى هذه الأقلام في حين أن الملكة المصرية المظلومة — كليوباترا — الممثلة الأخيرة لمجد البطالسة وسلالتهم، والتي سوّى على حساب سمعتها وكرامتها وأفول نجمها هذا الحساب الخطير، لم تصب منه إلا ركاما من التبعات والآثام واللعنات.

ظهرت حية النيل العجوز — كما نعتوها — في هذا التاريخ، وعمدته «بلوتارخوس»، وفي معظم الروايات التي استوحته واستقت من معينه، في مظهر امرأة خطالة متهمة في عفتها من حيث هي امرأة، وفي جلالها وإخلاصها لبلادها من حيث هي ملكة، مجرّد ...

«...أنثى أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات»

خاضعة في كل أدوار حياتها السياسية لشهوة مذبذبة، تدفع بها رخيصة إلى كل صاحب مجد أو جاه، متصلة — ما اتصلت في هواها — ببطل، منفصلة — ما انفصلت — عن «حطام مبعثر مستباح» دائبة البحث عن فريسة جديدة تستل آمالها، وتسلبها جلالها، وتهيض من جناحها المحلق في سماء المجد والخلود...

وعجيب أن تقفر حياة كهذه الحياة الحافلة بالمآسي إلا من هذا

الركن الدنس ، وعجيب أن لا يرى أولئك القصاص في هذه النفس الطموح ظلا لأمل خير أو حلم نبيل ، وعجيب أن تجثم في كل ناحية من نواحيها رذيلة تهب المداد لهذه الأقلام !

مرمى الرواية :

أليس المؤلف المصري إزاء هذا الاضطهاد الصارخ لهذه الملكة المصرية ، بحكم الثلاثة القرون التي قضاها أجدادها العظماء على ضفاف النيل ، مستقلين عن كل نفوذ أجنبي ، أبرياء إلا من العمل المتصل لمجد مصر ورفاهتها ، مستحيلة دماؤهم قطرة فقطرة إلى دماء مصرية خالصة على توالي الأيام . أليس المؤلف المصري في حل — مادام البحث العلمي يكشف بين الحين والحين في هذا التاريخ المتهم عن حلقات ضائعة أو أوهام أنزلت فيه منزل الحقائق — من إنصاف هذه المصرية المضطهدة ، ولو إلى الحدّ الذي يتفق مع هيكل هذا التاريخ المجرد ، ولا يحرمها على الأقل من سمو الغاية ونبالة المقصد ؟

أعتقد أنه ليس في حل من هذا الإنصاف فقط، ولكنه مسئول عنه إلى أن يصل البحث الحديث في تقرير حقيقة التاريخ القديم إلى آخر مداه فيعز من يشاء ويذل من يشاء .

على هـذا الأساس يضع مؤلفنا المصري اليوم في « مصرع كليوباترا » صورتين جديدتين : إحداهما لتاريخ كليوباترا في قليل من التحوير المنطقي المعقـول لتاريخها القـديم ، والأخرى لحياة كليوباترا حريصاً فيها على أن تحاط بنفس الجوّ الظنين الذي يحيطها به رواة التاريخ القديم ، مانحاً إياها الحق الأكبر في الدفاع عن نفسها وعن سياستها وعاطفتهـا ، غـير تارك لسواها من أشخاص الرواية إلا حظاً ضئيلاً من هذا الدفاع ، وهو إذ يمنحها هذا الحق دون سواها من أشخاص الرواية إنما يحرص أوّلا على أن يترك لأولئك الأشخاص مطلق الحرّية في تجديد هـذا الجوّ الظنين ، وثانياً على ألا يقسو في مس الكرامة العامة للتاريخ ، وثالثاً على أن يترك الباب مفتوحا لتحقيق ما لهذا الدفاع من وجاهة في نظر البحث الحديث المنصف .

كليوباترا في نظر التاريخ القديم :

ولدت كليوباترا سنة ٦٩ قبل الميلاد ، وكانت على أن تبنى بأخيها الأكبر وتتولى العـرش معه ؛ فنوزعت في هذه الشركة ، ففرّت إلى سوريا لتعبىء جيشاً هناك تستعيد به تاجها المفقود . وهناك صادفهـا يوليوس قيصر ، فوقعت من نفسه ، فمكنها من العرش شركة مع أصغر أخويها ، فما لبثت أن قتلته مسموماً وتبعت قيصر إلى روما فاحتفي بها حفاوة أثارت سخط الرومان .

وقتل قيصر فتردّدت كليوباترا أي الصفين تتبع : أصف واتريه أم صف الموترين فيه ، حتى إذا تم النصر لحلفاء قيصر على قتلته دعاها أنطونيوس إلى طرسوس لتقدم حساباً عن هذا التردّد المقصود، وقد لبت دعوته فسارت اليه في موكب بحري فخم تجلت فيه روعة الشرق وجلاله وغناه ، وكانت يومئذ في الثامنة والثلاثين من عمرها على أبهى ما كانت من سحر وفتنة وجمال ، فما لبث أنطونيوس أن رآها حتى افتتن بها وضحى في سبيلها بمكانه وكبريائه، وأخيراً بملكه ومطامعه وحياته ، وقضيا الشتاء التالي في الاسكندرية في غرام نسيا فيه كل شيء ، وعلى أن أنطونيو قد رجع إلى روما وتزوّج من أكتافيا شقيقة أكتافيوس ، فقد عاد إلى كليوباترا وأقام معها وسخا لها ولأبنائها بالعطف والتكريم ، وفي نشوة هذا الجنون كان اسمه يتضاءل في روما ، وكانت قواه السياسية والحربية تخور.

وفي سنة ٣٠ قبل الميلاد اشتبك القيصران في وقعة أكتيوم البحرية ، وكانت كليوباترا بطبيعة الحال تؤازر بأسطولها أسطول أنطونيوس ، ففرّت أثناء المعركة وفرّ في أثرها حبيبها المفتون ، وبذلك كتبت عليهما الهزيمة الأولى ، ثم اشتبك الجيشان في معركة برية على أسوار الاسكندرية ، وكاد النصر في أوّلها يؤاتي أنطونيوس ثم سرعان ما تنكر له وتم عليهما الخذلان الاخير .

وحاولت كليوباترا أن تأسر بجمالها القيصر الظافر ، وأن تفعل به ما فعلت بأنطونيوس ، فاشتركت معه في مفاوضات لصالحها الخاص ، وأرسلت إلى أنطونيوس من أوحى اليه بموتها ، فاتكأ على ظبة سيفه حتى إذا علم في احتضاره كذب هذا الوحي ، أمر أن ينقل اليها حيث جاد تحت شفتيها بالنفس الأخير . وأيقنت كليوباترا بعدئذ ان القيصر الظافر إنما يخدعها عن نفسها ، وإنما يريدها شارة ممتازة في موكب انتصاره ، فانتحرت تاركة وراءها بنتين من أنطونيوس كفلتها أكتافيا ، وولدا من يوليوس قيصر (قيصرون) قتل في عهد أكتافيوس ، وجسداً هامداً ضمه القبر إلى رفات أنطونيوس ، وذكريات حية خالدة ...

فضن عن الملوك والقوّاد وسرن وحي شاعر وشادي
وفتنة السراع والمداد

وجوه الاختلاف الأساسي بين الحوادث التاريخية والحوادث الروائية

يهمنا من هذه الحوادث إزاء الرواية ما تناول الأيام الأخيرة من حياة كليوباترا ، تلك الأيام التي لم تتناول الرواية سواها ، فنرى:

(أوّلا) أن فرار كليوباترا من وقعة أكتيوم كان جبناً وغدراً في التاريخ :

ونرى أثر هذه النظرية التاريخيـة في الرواية حيث يعتب أنطونيوس على كليوباترا :

وقلت انسحبت ضعـفا وقال النـاس بـل غدرا

في حين أن هذا الفرار في الرواية جزء من سياسة كليوباترا – وسوف نبسطها بعـد قليل – ويدل على ذلك وعلى روح هذه السياسـة قول كليوباترا :

فتـأمّلت حـالـتي مليا وتدبرت أمر صحوي وسكري
وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيري
كنت في عاصف سللت شراعي منـه فانسلت البـوارج إثري

(ثانياً) أن التاريخ لم يذكر أن جيش كليوباترا فرّ من المعركة البرية بينما سجل المؤلف هذا الفرار في الرواية تمشياً مع السياسة التي اختطتها كليوباترا لنفسها ، وفي ذلك يقول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا

(ثالثـا) أن كليوباترا هي المسئولة امام التاريخ عن انتحار أنطونيوس بينما يبرئها المؤلف من هـذه التهمة ، ويخلق شخصية خيالية يلقي عليها هذه التبعة ، هي شخصية الطبيب أولمبوس ، ونرى ذلك حيث تتساءل كليوباترا في لوعة ولهفة :

من نعاني كذبا من قالها لك

وإذ يجيبها أنطونيوس :

« أولمبوس النذل الخؤون »

وحيث نسمع أولمبوس في الفصل الثاني من الرواية مهدّدا ناقما :

أوروس أنطونيوس حسابكما غدا روما الأبيـة لم تنم عن ثارها

وحيث نلمس مكمن الحيلة بين هذه النقمة وذلك الانتقام .

(رابعاً) حاولت كليوباترا تاريخياً أن تتصبى عدوها الظافر ، وأن تغدر حبيبها المخذول ، ثم انتحرت عندما فشلت هذه السياسة ، والمؤلف ينزهها عن هذا الإسفاف ، ويجعل أوّل لقائها لأوكتافيوس وأوّل اتصاله بها عقب مصرع أنطونيوس ، ثم يجعل من هـــذا الاتصال مفاوضات ، ويجعـل في هـذه المفاوضات خداعا من قيصر وإباء من كليوباترا ، فلا تصبي ولا محاولة إيقاع في غرام ، ثم يجعل انتحارها حرصا على تاج مصر أن يذله العرض في روما من ناحية ، وذلك إذ تقول :

سطب روما على ملكي ... ...

فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمي جلالي

فـلاتمشي على تاجي ولكن على جسد يبطن الأرض بالي

ووفاء لأنطونيوس من ناحية أخرى وذلك إذ نقول :

أيهـا الذاهب قد آ ن عن الدنيا ذهوبي

أيها الخالص ودّا ليس ودّي بالمشوب

... ...

عن قريب ينطوي القبر علينا عن قريب

صورة تحليلية لأهم أشخاص الرواية

كليوباترا

ما فتىء المؤلف منذ مطلع الرواية إلى مقطعها يؤكد جنسية كليوباترا المصرية وإن تحدّرت من نبعة أجنبية ، فقد كان الزمن الطويل الذي قضاه أجدادها في مصر — كما أسلفنا — كافيا لتمصيرها .

وعبث أن نختار من الرواية قطعة دون اخرى لإثبات هذه الجنسية ، فالرواية كلها دليل متصل ، نسجل منه على سبيل المثل قولها :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال

وقولها :

موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر

ثم قولا آخر احتال فيه المؤلف على تبرير هذه الجنسية ، متحاشياً في هذا التبرير إلا مجرّد التلميح من بعيد لدمها القديم ، وذلك إذ يقول حابي لزينون :

أخي هـذا أتيني وخلي ذاك مقدوني

... ...

كلا الخلين ذو جدّ بأرض النيل مدفون

فليسا في هوى مصر وفي طاعتهـــا دوني

وتصوّر الرواية كليوباترا من نواح ثلاث يستحسن أن نبحثها منفصلة : الأولى من حيث هي امرأة ، والثانيـــة من حيث هي ملكة ، والثالثة من حيث هي شخص سياسي :

كليوباترا امرأة

(ا) جميـلة :

وأمام جمالها يتمنى زينون رأسين :

يطأطىء رأسا لمجـد النبـو غ ويخفض رأسا لمجد الجمال

ويناجيها أنطونيوس قائلا :

ردّي عليّ هامتي الغار التي سلبت فقبلة منـك تعلوها هي الغار

ويذكرها وهو يودع الدنيا :

لمـــا لقيتك في الجمال وعزه قهرت قواي الظافرات قواك

وفي احتضاره يهتف بها :

كليوباترا زوديني قبـــلة من ثناياك العذاب الشهيات

وهيلانة تتحدّث عنها :

لم يحـو شمسين الفلك

وأنوبيس يلقبها :

شعاع المدائن نور القرى

وحبوا ينبهر أمام كفها ...

عجب عيني لا تقـ ـوى على هذا الضياء
هـذه كف إله جاء في زي النسـاء

ورسول اكتافيوس قيصر يعجب لمولاه كيف :

... لا يلبي دعوة الحسن طائعا ... ...
وقد كان يوليوس يقوم ببابه ويمثل أنطونوس في العتبات

(ب) قوية الثقة بجمالها :

وبوحي من هذه الثقة تناجي بالاسكندرية قائلة :

وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا

وتصف عشاقها قائلة :

يموتون بي عشقا ويشقون بالهوى فكم من حياة في يدي ومماتي

وحينما تفكر بالانتحار لم يكن يشغلها من الدنيا شاغل إلا أن تحتفظ في موتها بهذا الجمال ويبدو ذلك أوّلا في الحوار بينها وبين أنوبيس :

« ولكن أبي هل يصان الجمال » ؟ « وهل يطفأ اللون » ؟ « وهل يبطل الموت سحر الجفون » ؟

وثانياً عندما تناجي شبح الموت :

ياموت لا تطفيء بشاشة هيكلي واحفظ ظواهر لحتي وجلالي

... ...

حتى أموت كما حييت كأنني بيت الخيال ودمية المثال

وتتحدّث عن الحياة فتقول :

إني انتفعت بعبقري جمالها وتمتعت من عبقري جمالي

(ج) قوية البيان :

قوية يمثلها حابي حيث يقول :

لبسياس إنك قد سمعت حديثها كالسحر في الآذان حين يدار

تبدو الخيانة فيه وهي أمانة ويرى الثبات عليه وهو فرار

(د) شاعرة :

وفي ذلك يقول لها أنطونيوس :

وقولي الشعر علويا

ويقول للمغني إياس :

غنني شعر ملاكي غنني شعر الإله

ولها في الرواية نشيدان : « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا »
و « يا طيب وادي العدم » .

(ه) ولوع بالقراءة :

وفي ذلك يقول زينون :

... ... تنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها

وقد رأينا أن لها في قصرها مكتبة .

(و) الأمومة لديها كالغرام — وسوف نتحدّث عنه في موضعه — عاطفة ثانية إذا كان حب المجد وإباء الضيم فيه عاطفتها الأولى :

وقد اشتهي عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضي لي ولا النبل يسمح

(ز) عفة الهوى :

وقد تروّع القارىء هذه الحقيقة لأوّل وهلة ، إزاء سلسلة التهم القاسية التي وصمت بها كليوباترا في الرواية كما يبدو من هذه الأمثلة :

(١) هتفوا لمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهم فراش غرام

(٢) أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟

(٣) قد اجترأت على روما البغي

(٤) صرح أبن قل غدرت قل جدّدت بقيصر الثالث دولة الهوى

(٥) ... ... أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات

لكن قليلاً من التفكير يردّه إلى وجه الصواب فالتهمة الثانية قد رماها بها حابي الذي كان يراها عن بعد في ضوء الاشاعة السائرة ، والذي لم يلبث أن نزل عن بعد رأيه فيها حينما عرفها عن كثب ، فعاد يعدها « أبر المالكات » و « أشرف الناس إحساساً ووجداناً » و « لا يقيس بها في الطهر إنساناً » . والتهمة الأولى قد وجهت اليها من شاب كان يشترك وحابي في نظرته الأولى اليها ، لكنه لم يقترب منها ليرى ما رآه حابي في النهاية . والتهمة الثالثة موجهة اليها من قائد روماني غاضب لكرامة بلاده ، أي من خصم سياسي موتور . والتهمة الرابعة صاحبها أنطونيوس ، رماها بها ظلماً في ساعة يأس ، ثم كفر عنها بانتحاره ، وسوف نتحدث عن وفائها له بعد قليل . والتهمة الأخيرة إنما تجمع فيها كليوباترا خلاصة ما يقال فيها وفي هواها ثم تدفعه في قولها :

فداً لغرامي بالرجال وحسنهم ... غرام الغواني أو هوى الملكات
فليس الغلام البارع الحسن فتنتي ... ولا الرائع الأجلاد والعضلات
... ...
ولكن عشقت العبقرية طفلة ... وفي الغافلات البله من سنواتي

وفي قولها والضمير للحياة :

ووجدتها قد خلدت أبطالها ... فبسطت سلطاني على الأبطال

(ح) وفية لغرامها مخلصة فيه إلا حيث يصطدم هذا الغرام بوطنيتها .

فأما وفاؤها لغرامها وإخلاصها فيه فموقفها من أنطونيوس جريحاً وميتاً وبعد أن لم يعد يرجى منه خير ولا أمل ، وذكرها له وهي مشرفة على الموت حيث تنادي الموت قائلة :

سر بي إلى أنطونيو في نضرتي ورواء جلبابي وزينة حالي

وحيث تنادي وصيفتيها قائلة :

ألبساني حلة تعجب انطونيو سنيه

كل ذلك آيات على هذا الوفاء والاخلاص .

وأما تضحيتها بغرامها لسياستها فعلى الرغم من أقوالها « أنا أنطونيو وأنطونيو انا » و « الحياة الحب والحب الحياة » ونحن قرّبنا له — أي للحب — ملك الثرى » و

هو اعطى الحب تاجي قيصر لم لا أعطي الهوى تاجي منا

على الرغم من هذه العاطفة القوية التي اظهرتها كليوباترا دائماً في مواجهة أنطونيوس ، والتي لم يؤيدها الأمر الواقع ، والتي إن دلت على شيء ، فعلى أن كليوباترا كانت ككل امرأة سواها ...

(ط) — يداخلها في حضرة حبيبها أثر المبالغة وروح الرياء ولعلها تعتذر عن ذلك إذ تقول والضمير للحياة :

بلت الحياة أنا ... ...
عنهـا تناولت الرياء وراثة وأخذت كل خديعة ومحال

نعود فنقول على الرغم من كل هذا إن غرام كليوباترا — كما سوف نرى حينما نعرض لسياستها — ما تعارض يوماً مع هـذه السياسة ومع ما كانت تكفل به التاج المصري من حب ورعاية ، إلا خرّ هذا الغرام صريعاً .

بقيت نقطة أخيرة تتصل بهذا الهوى ، وتلك أن كليوباترا كانت في ساعات لهوها ...

(ي) تفنى في هذا اللهو وتستمتع به وتنسى ما سواه .

وحسبنا في الإشارة إلى ذلك قولها :

فاطو معي حوادث الـ ـأمس ولا تجـدّد
وامض معي في لذة الـ ـيوم ودع هم الغـد

وقولهـا :

لتكونن ليـلة آخر الدهر تذكر
لا نبالي إذا صفت بعدهـا ما يكدّر

على أنها كانت تستظل في هذا الاستمتاع بظل من الوقار يتبارى مع خلاعة الاغراق فيه ، تلك الخلاعة التي كانت سمة العصر

المترف المستهتر التي عاشت فيه ، والتي نكتفي من إثباتها بالإشارة (أولاً) إلى قول القائل :

هلا نظرت إلى الأميرة إنها سكرى تعثر في خليع عذرها

(ثانياً) إلى اتضاعها في وليمتها حيث تترك يدها في يسر لتكون نهباً بشفاه عرّاف صغير .

أما الظل الوقور الذي كانت تستظل به في هذه الساعات اللاهية والذي يبدو في قولها :

اجعلوها وليمة وبساطاً يتبارى خلاعة ووقارا

فلعلها استمدّته من قبس ديني ما فتىء يتردّد على نفسها بين الحين والحين . وتبدو ...

(ك) مستمسكة بدينها إذ تهتف بأنوبيس في موضع :

صل من أجلي ولا تذ ـس صغاري في صلاتك

وفي موضع آخر :

هذا مقام صلاتي وهيكلي للضراعه
ولي خطايا كثير لا تبرح البال ساعه
فادخل وصل لأجلي فمنك ترجى الشفاعه

وفي موضع ثالث :

ابي دخات نفسي حيرى الزمام حزينه

وقد تركت المصلى وملء قلبي سكينه
إن الصلاة على شدّ الزمان معينه

وبين هذه العفة والوقار من جانب ، وهذه المتعة والخلاعة من جانب آخر جهرت كليوباترا بهذا الاعتراف والضمير للحياة :

ولربما رشدت فسرت برشدها وغوت فأغوتني وضل ضلالي

ووصفها أنوبيس بأنها كشعاع الضحى :

يخوض الوحل ويغشى الحلى ويأوي الحضيض ويعلو الذرا

ولكنه طاهر حيث طاف نقي الذيول عفيف الخطا

كليوباترا ملكة

(أ) قوية الشخصية :

وأظهر ما تبدو هذه القوّة في اربع مواضع . (الأوّل) حينما تدخل على زينون بعد أن لعنها وتآمر عليها فلا يكاد يسمع تحيتها حتى يردّها قائلا :

سلام السماوات في مجدها على ربة التاج ذات الجلال

(الثاني) حيث يقول أوروس :

لولا الوليمة والشراب وحرمة لأميرة الوادي السعيد ودارها

(الثالث) حيث يقول انطونيوس :

أخرجت أمري واختياري من يدي وتركتني نفساً بغير ملاك

(الرابع) حيث يؤبنها أكتافيوس :

لعبت بأنطونيو ويوليوس حقبة كما جاء بالمسحور أو راح ساحر

بيد أن هذه القوّة كانت تظهر احياناً كأنها مشوبة بضعف ، لكنه ضعف مصطنع ترى فيه المرأة دائماً سلاحاً من اسلحة قوّتها . فهي حينما تنادي انطونيوس :

مكانك قيصر لا تذهبن ولا تبرح القصر أهلك اسى

إنما تجرّب قوّة دلالها ، وقد أفلحت في هذه التجربة ورأينا كيف استنهضت بهذا الدلال من حماسة انطونيوس ، وكذلك عندما تقول لأوكتافيوس :

فخذه من يد الموت ومن عاجزة تبكي

فقد كان ذلك منها تهكما بتهكم ، وقد رأينا كيف وقفت بعد ذلك وقفتها في إبائها وكبريائها الأعزل ، فاضطرت القيصر المنتصر أن ينتقل في خطابها من سخرية إلى احترام .

وفي ذلك تقول هي :

فإن تك بي خشية في النساء فلي جرأة الملكات الكبر

ويقول أكتافيوس :

قد أبطلت كيدي على ضعفها ولم تزل تسخر بالكائد

(ب) مصلحة :

وفي ذلك تناجي الاسكندرية قائلة :

وشيت بوك جدولا وخميلة وكسوت بحرك عدّة وشراعا
وأنا الملاة وقد ملأتك غابة وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا
قد خفت من بعدي عليك بمالكا يطلقن فيك الفاتحين سباعا

(ج) فخور :

ويبدو هذا الفخر على أشده حينما تجعل نفسها « ضرة روما » إذ تقول :

اليوم تعلم روما أن ضرتها تقلد الغار من تهوى وتختار

وحينما تقول لحابي :

دع الذود عن مصر لي إنني أنا السيف والآخرون العصا

وحينما تقول :

وقد علم البرية أن تاجي نمته الشمس والأسر العوالي

وحينما تخاطب الاسكندرية قائلة :

« وأنا الملاة وقد ملأتك غابة »

وحينما تسأل العرّاف :

أحضيض يومي الآ خر قل لي أم سماء
خاتم الأيام أو لى باهتمام العظماء

(د) أبية :

وآية ذلك قولها لأنوبيس :

أبي لا العزل خفت ولا المنايا ولكن أن يسيروا بي سبيا

وقولها في وداع حياتها :

أأدخل في ثياب الذل روما ... ...
... ...
إذن غير الملوك أبي وجدّي وغير طرازهم عمي وخالي

وقولها في وداع صغارها :

وقد أشتهي عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لي ولا النبل يسمح

وفي تأبين أكتافيوس لها :

ترفعت عن قيدي ومت عزيزة

(ه) تتألف خصومها :

واحتيالها في اجتذاب حابي اليها عن سبيل حبه لهيلانة خير دليل .

(و) عطوف على اتباعها :

تقول لوصيفتها :

أنت لي خادم ولكن كأنا في الملمات أهل قربى وصهر

وتقول لها وصيفتها :

يا رب ذنب ... ... يتعب العذر فيه مهدت عذري

وقد اكسبها هذا العطف تفانياً في حبها من اولئك الأتباع .

فانظر إلى هيلانة إذ تقول :

إن التي شب في نعمائها ونبهت لي في سلطانها شانا

إن لم أمت دونها أو لم أمت معها فما جزيت عن الاحسان إحسانا

وإذ تقول على جثتها :

ليت الطبيب الذي داوى فأخرجني إلى الحياة على الدنيا به طلعا

وإذ يصل هذا التفاني إلى حدّ التضحية بالحياة ، وإذ يتجلى الحزن الشامل على القصر ومن فيه في الساعة التي أفل فيها نجم كليوباترا وأشرفت على مفارقة الحياة ، أنظر إلى كل هذا تجد أن أولئك الأتباع وجدوا في ظل كليوباترا العطف والرفق والاحسان .

(ز) غفور :

ويبدو ذلك في قولها لحابي :

فمثلك تاب ومثلي عفا

(ح) جليد :

ونرى أثر هذا الجلد في قولها :

يا ويح صحبي بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئي بهم يا شرميون لينظروا جلدي فيهدأ بعض ما يجدونا

(ط) تكره التملق :

وفي ذلك تقول لحبرا :

خلني من زخرف المد ح ومن زور الثنا،

سياسة كليوباترا

تقول كليوباترا لأوروس :

الحرب فنك أورو س والسياسة فني

فهل هذا صحيح :

لقد كانت كليوباترا بعيدة النظر حينما عتبت على أنطونيوس عقب انتصاره في اليوم الأوّل من يومي المعركة البرية على أسوار الاسكندرية أن ترك خصمه من غير أن يضربه الضربة القاضية بعد أن اقتحم عليه مضاربه ...

تركتهم لغد؟ هذي مجازفة غد غيوب وأسرار واقدار

وقد اثبتت هزيمة أنطونيوس في اليوم التالي بعد هذا النظر .

وكانت كليوباترا بعيدة النظر كذلك حينما استشفت من خلال ذلك العرض المعسول الذي عرضه عليها أكتافيوس :

ولها الوادي وما يحـ ـمل ملكا ورعيـه
وبنوها يرثون الملـ ـك من روما الوصيه
وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه

شبح الحيلة والخداع ، فكادت له كيداً اضطره أن يقف أمام جثتها موقف المنهزم يقول :

قد ابطلت كيدي على ضعفها ... ...
في الجسد الحي تمنيتها لم أبغها في الجسد البائد

هذا من ناحية أخرى فقد اختطت كليوباترا لنفسها سياسة خاصة في هذه الرواية ، وقد ظلت امينة على تنفيذها حتى النهاية ، وقد فشلت في هذه السياسة فشلاً افقدها حبها وتاجها وحياتها ، وافقد مصر ما كان لها من شبه حرية واستقلال .

ونعرض الآن هذه السياسة ثم نتناولها بالبحث لنرى مواطن ضعفها وكيف انتهت إلى هذا المصير .

وكانت كليوباترا أسيرة عواطف ثلاث :

(الأولى) حبها لمصر وحرصها على مستقبل تاجها . وقد رأينا ان الرواية ملأى بدلائل هذا الحب والحرص حينما تكلمنا عن جنسية كليوباترا .

(الثانية) حبها لأنطونيوس . ومن العبث أن نستشهد على هذا الحب بنجواها الغرامية المتصلة وحدها كلما جمع المجال بينها وبين انطونيوس ، فلقد تتهم هذه النجوى بشيء من المبالغة والرياء ، وخير أن نقصر هذا الاستشهاد على حديثها عنه في غيبته ، إذ تقول :

علم الله قد خذلت حبيبي

وإذ تقول في موقف آخر :

هو انطونيوس ذخري وطـــريفي وتليـدي

وعلى الوفاء له بعد موته ، وقد اسلفنا عليه الدليل ، ومهما يكن من اتقاد هذه العاطفة في قلبها فقد كانت لديها كما قلنا عاطفة ثانوية ، كلما تعارضت مع حبها لمصر ، ففي سبيل وطنها كانت مستعدّة للتضحية بكل شيء ، وكانت تعتقد حقيقة أن :

المجد لا يسأل عن صاحبـة ولا ولد

وكانت مخلصة حينما استنهضت حماسة أنطونيوس بهذه الكلمة الجامعة :

عد ظافراً أو لا تعد

وآية استعدادها للتضحية بغرامها في سبيل سياسة بلادها قولها عقب فرارها من أكتيوم :

علم الله قد خذلت حبيبي وأبا صبيتي وعوني وذخري
والذي ضيع العروش وضحى في سبيلي بألف قطر وقطر
موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر

(الثالثة) بغضها لروما وإشفاقها من طغيان سلطانها المكين . ويبدو هذا البغض في عدّة مواضع . منها قولها :

لا تسيروا على ولائم روما سرفاً في الفسوق واستهتارا

ومنها قول أحد القواد الرومان لزميل له :

أتسمع ما تقول عدوّ روما ؟

وقولها :

دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا

وقولها :

حبرا أعندك سحر يشل طاغوت روما ؟
ويجعل الناس فيها حجارة ورسوما

وقولها في موقف مفاضلة بين ألوان الشراب :

دنان مصر لا دنان الروم

ثم شعور الناس جميعاً — حتى خصومها — بذلك البغض ، وفي ذلك يقول حابي لزينون قبل أن ينزل عن رأيه فيها :

ولم يبق على الود لروما غير زينون

وإشباعاً لهذه العواطف جميعاً رسمت كليوباترا لنفسها ثلاث غايات :

(الأولى) أن تستخلص الشرق لنفسها مستقلاً عن كل نفوذ .

(الثانية) أن تضعف قوى روما ما استطاعت مع المحافظة على قواها هي .

(الثالثة) أن تعكس الآية السياسية الموجودة يومئذ ، فتسود روما من خلال سيادة قيصر ضعيف تضمن أن يخضع لفتنة جمالها دائماً ، كما تضمن أن يخشى قوة بأسها ثانياً ، وكل هذه الشروط كانت تجتمع في أنطونيوس . وتحمل كليوباترا غايتها الأولى والثالثة في قولها لأنطونيوس :

أنت لروما في غد وقيصرون بعد غد
والشرق سلطاني الذي إكليله لي انعقد

ثم تبسط غايتها الثالثة إذ تقول :

قلت روما تصدّعت فترى شطـ ـرا من القوم في عداوة شطر

... ...

وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيري

والوسيلة التي ظنتها كليوباترا كفيلة بتحقيق هذه الغايات، أن تقف من القيصرين المتحاربين موقف الحياد ، فقد كانت تؤمن بتكافؤ قواهما الحربية ، لأنها « تقاسما الفلك والجيش » وبات كلاهما :

... ... شطـ ـرا من القوم في عداوة شطر

وقد أثبت تداول النصر بينهما قبل المعركة الفاصلة صدق هذا اليقين . وقدّرت كليوباترا أن حيادها هذا يكفل لها الاحتفاظ بقواها في البر والبحر ، بينما ينهك القتال قوى القيصرين — المنتصر منهما والمخذول — حتى إذا قرت الحرب بينهما ظهرت بجيشهـــا واسطولهـــا ، لتجهز على أكتافيوس — إذا ظفر — وهو متعب منهوك ، ولتحيّي أنطونيوس — إذا كان هو الظافر — تحية القوي للضعيف ، لا تحية التابع للمتبوع . لكن الحياد الصريح كان معناه المحتوم أن تفقد أنطونيوس ، وأن تفقد كل أمل في هواه ، وأن ينهار بفقدان هذا الأمل صرح أمانيها جميعاً ، فاصطنعت كليوباترا

لنفسها حياداً مقنعاً تتظاهر فيه بالقيام بنصيبها من أعباء الحرب إلى جانب أنطونيوس ، حتى إذا نشبت المعركة فرّت بجيشها أو أسطولها ، تاركة لفرار انطونيوس القوي مهمة التماس الاعذار لضعفها وفرارها من حومة القتال ، ناطقاً عن لسانه :

فقلت انسحبت ضعفاً وقال الناس بل غدرا
ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا

ومهمة أخرى هي إلقاء تبعة الغدر والخيانة على من يشاء من قوّادها :

فياقائدالأسطول هل من مكيدة تدبر لي خلف الشراع وماأدري؟

وما من شك انها مهمات يسيرة ، إزاء مهمة الاعتذار لخيانتها السافرة لو انها وقفت منه موقف الحياد الصريح ! وما من شك كذلك ان هذه المهمات قد اداها غرام انطونيوس بنجاح فقد عفى عن ضعف حبيبته مرتين ومات راضياً عنها كل الرضاء .

ونستطيع استخلاص هذه الخطة التي اتخذتها كليوباترا من اربعة مواضيع :

(الأول) في موقف كليوباترا من حاشيتها بعد وقعة أكتيوم، تبرر فرارها في هذه الأبيات :

قلت وروما تصدعت أفترى شط ـرا من القوم في عداوة شطر

بطلاها تقاسما الفلك والجيـ ـش وشبا الوغى ببحر وبر
فتأملت حالتي مليّاً وتدبرت أمر صحوي وسكري
وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيري
كنت في عاصف سللت شراعي منه فانسلت البوارج إثري
خلصت من رحى القتال ومما يلحق السفن من دمار وأسر

(الثاني) في قول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا

ولقد يلقى قول كليوباترا في استقبال أنطونيوس على أثر عودته ظافراً في اليوم الأوّل من يومي المعركة البرية :

هو والله نشيدي والمغنون جنودي
والمخاريق التي تخـ ـفق من بعد بنودي

لقد يلقى هذا القول ظلّا من الشك على مسايرة خطة الانسحاب من المعركة لسياق الرواية ، يعززه أن انطونيوس لم يأخذ عليها فرارها من هذه المعركة كما أخذ عليها فرارها من أكتيوم ، لكن هذا الظل المريب يتضاءل ويفنى حينما نعلم أوّلا ان كليوباترا لم تشترك في هذه المعركة بتاتا ، فقد « آلى واقسم » انطونيوس :

... ... لا يرى في قصرها حتى يقوم مجسده المنهار

وظل في حنقه وغضبه منها « بأقرب ثكنة » من الاسكندرية يدعو من الرومان — وحدهم من يختار :

ويعدّ أهبته ليـوم حاسم في البر يغسل عنه فيه العار

وحينما نتمشى ثانياً مع قول كليوباترا قليلا ، فنسمعها في فرحها بعودته تقول :

ولديهـا فارس ملء ثم شاكي الحـديد
هو انطونيوس ذخري وطريفي وتليـدي

فهي لم تفرق بين جنود انطونيوس واعلامه ، وبين جنودها هي واعلامها ، ولكن ذكرت نوعاً واحداً من الجنود والأعلام والأناشيد ، وقالت هم جنودي واعلامي واناشيدي ، لأنها في غرورها الفخور وفي ثقتها بجمالها وحب أنطونيوس لها وحبها لأنطونيوس ، كانت تعتقد ما قالت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، وترى على هذا أن كل ماله إنما هو ملك لها ، وكان أنطونيوس بدوره يتناسى في انتصاره عتبه الأوّل ، ويتناسى في غرامه أناشيد روما واعلامها ، ويتخذ أناشيد مصر واعلامها ، ويترك أسطوله « يعب تحت هذه الأعلام » ، وجيشه يتغنى بهـذه الأناشيد ، وفاء لهـا بما اخذه لها على نفسه ، انه « مصري » وأنه « تابعها الوفي » وأنه ما في سوى رضاها له مضي .

(الثالث) قولها لأنوبيس :

وجيش الحليف وجيش العدوّ بظهر المدينة شبا الوغى
أما جيشها هي فسياستها تعلم أين كان !

(الرابع) قولها لأنوبيس كذلك :

أبي أعلمت أن الجيش ولى وأن بوارجي أبت المضيا ؟

فكليوباترا هنا تشكو من أن بوارجها أبت المضي ، لكن متى حدث هذا الإباء ؟ هل كان ذلك في معركة أكتيوم ؟ طبعاً لا .. لأنه لو كان ذلك كذلك لما كان هناك سبيل لشكاة كليوباترا من أمر هي صاحبة الرأي فيه ، ولما كان هناك سبيل للتعبير عن فرار الأسطول يومئذ بأنـــه « إباء » أي تمرّد ، وهي الامرة بالفرار وأسطولها لم يعد أن سمع وأطاع ، ولما كانت هناك فائدة في إخبار أنوبيس بنبأ قد عرفه منذ حين ... إذن لا بد أن هذه البوارج قد أبت المضي إلى الحرب بعد هزيمة أنطونيوس الأخيرة ، وقد يبدو – وإن كان ذلك في شيء من الغموض — ان كليوباترا تنفيذاً لما بسطنا من خطتها أرادت أن تضرب أكتافيوس عقب انتصاره كما قدّرت ، فأهابت بأسطولها أن يمضي فأبى هذا المضي ، وأهابت بجيشها ان يمضي فولى الأدبار ... اعتاد كلاهما لذة الدعة وراحة الفرار ، ومن هذه العادة جنت كليوباترا ما غرست فيهما من بذور

الضعف والخور ، وتحطمت خطتها وسياستها عـــلى صخرة عاتية وقفت لديها تعض بنانها ندماً وتقول :

ايها العين أبصري إنما كنت في حلم

مواطن الضعف في هذه السياسة (تحليل)

(أوّلا) أخذ أنوبيس على هذه السياسة بصفة عامة أن كليوباترا كان يجب أن تخلص في عون انطونيوس ، فيكون الأمل في الظفر أقوى ، وذلك حيث يقول :

تركتم انطـونيو س وحده يلقى العدا
من أجلكم سل الحسا م وإلى الحرب مشى
ما كان ضركم لو التـ ـفتم عـلى الـوا

لكن حسن الظن في كليوباترا قد يستطيع الاعتذار لها بأنهـا كانت تريد إلى جانبها قيصراً ضعيفاً يمكن أن يرث عنه القيصرية ولدها قيصرون ، لا قيصراً قوياً قد تفقد سلطانها عليه إذا تعرض غرامه للذبول .

(ثانيـا) قدّرت كليوباترا أن يظل انطونيوس في المعركة بعد فرارها فخانها التقدير ، وفرّ في أثرها انطونيوس :

لم تأت حتى جاء في آثارها للحب اجنحة بهن يطار

(ثالثا) لم تقدّر ما يحدثه فرارها من الضعف المعنوي في جيش أنطونيوس، وآية هذا الضعف قول أوروس لمولاه :

وخلفت في عسكر كالنعاج كثير الثغاء قليل الغنا
فمن يائس مات قبل القتال ومن خائن فرّ قبل اللقا

(رابعا) صراحتها الطائشة في إعلان بغضها لروما أمام الرومان، واضطرارها أنطونيوس أن يظهر بهذا المظهر كذلك أمام قوّاده، مما أحنق أولئك القوّاد وجعلهم يقولون :

سنلبث ساعة نحتال حتى إذا سلت عقولهم انسللنا
فما المتدله السكير أهلا لتنصره السيوف إذا استللنا

ونرى أثر هذا الحنق حينما يقول انطونيوس :

جنود أكتاف أدركوني يا ليتني مت قبل هذا

فيجيبه جندي روماني :

لا بل جنودك لكن خانوك حباً لروما

(خامساً) عدم اتعاظها بضعف سياستها بعد معركة اكتيوم، وتكرار الانسحاب وتكرار الهزائم .

(سادساً) اعتمادها على جيش واسطول علمتها الهرب من ساحة القتال، وقصارى ما نستطيع ان نقول في سياسة كليوباترا

إن عينها كانت ترى ما وراء الأفق وتعمى عما تحت أنفها من عثرات ، وإن هذه السياسة ليست المسئول الوحيدعن هذه الكارثة التي انتهت بها حياة كليوباترا ولكن هناك مسؤولا آخر هو الضعف النفسي الذي تحكم يومئذ في انطونيوس .

***

ولعل خير إطار تحلى به هذه الصورة الجامعة المتسقة الألوان لحياة هذه الملكة هو تأبين أنوبيس لها :

بذتي رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما انا راجي
إن تصبحي جسداً فنفسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناجي
سيقول بعدك كل جيل منصف ذهبت ولكن في سبيل التاج

أنطونيوس يحارب للسيوباترا

رسم المؤلف صورتين لأنطونيوس الجندي في هذه الرواية :

(الأولى) صورته قبل أن يتصل بكليوباترا ايام ان كان يضحي بالهوى في سبيل المجد .

(الثانية) صورة انطونيوس بعد ان عرف كليوباترا واصبح يضحي بالمجد في سبيل الهوى .

ونرى الصورة الأولى حينما يذكر انطونيوس – وهو مشرف على الموت – أيام صباه فيقول :

وأيام يدعوني الهـوى فأجيبه ... وينفخ في البوق المنادي فانبرى
فتنت الغواني برهـة وفتنني ... ولكنني عن سؤدد لم أقصر
فهمة قلبي في شراب وصبوة ... وهمة نفسي في علاء ومفخر
أروس توافقنا على كل غمرة ... وكل مجال ثائر النقع اكدر
وفي مهرجان الفاتحين وعرسهم ... ونحت لواء أو على عود منبر

فنراه من خلال هذه الصورة ، شجاعاً ، ظافراً ، خطيباً يشبع عاطفته ولكن إلى الحدّ الذي لا يقف به في سبيل المجد عن غاية .

ونرى الصورة الثانية حيث يفرّ أنطونيوس من معركة اكتيوم وفي ذلك يقول حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها ... للحب أجنحة بهنّ يطار

وإذ يخرج به الهوى من معركة لو استمرّ فيها لكتب له النصر الأخير ، وذلك إذ يقول لكليوباترا عقب انتصاره المؤقت :

ومالت الشمس أو كادت فراجعني ... شوق اليك عديم الدار سـوار
حتى رجعت ولو أني طردتهم ... لبات اكتاف عندي وانقضى الثار

وإذ ينسى بلاده ووطنيته وجنسيته في حب كليوباترا فتستطيع أن تقول :

... ... دعـوا روما ولا تجروا لها ذكرا
فما أنطونيو منهـا وإن كان ابنها البكرا
ولكن تحت أعلامي يقود البر والبحرا

فيسأله قائد من قوّاده :

أحق مارك انطونيو س من رومية تـبرا ؟

فيجيبه :

أجل اتبع مولاتي ولا أعصي لها أمرا

وإذ تستطيع أن تقول :

أنطونيوما انت روماني ألم تقل إنك لي جندي

فيجيبها :

أجل وزدت أنني مصري وأنني تابعك الوفي
ما في سوى رضاك لي مضي

وإذ يقول هو والخطاب لروما :

إن الذي بالأمس زنت جبينه بالغار عقك جهده وعصاك

وإذ يقول له قائد من قوّاده :

إلا إنـه ليل له ما وراءه غرامك حي فيه والمجد ميت

وآخر :

فما المتدله السكير اهلا لتنصره السيوف ... ...

وثالث :

حياتـــه في يـديه أم في يدي كليوباترا

وإذ يناجي هو « إلهته » كليوباترا :

أخرجت أمري واختياري من يدي وتركتني نفساً بغير ملاك

وإذ يفقد مزية الجندي الباسل في ساحة الوغى ، تلك المزية التي أثبتها لنفسه حين سألته كليوباترا :

... ... أسالم انت لا أسر ولا عار ؟

فأجاب :

أسر ؟ وهمت كليوباترا ... ...

لو قلت قتل لكان القول أشبه بي كأس المنايا على الأبطال دوار

وتلك هي مزية الثبات التي يفقدها انطونيوس بفراره من اكتيوم ثم فراره من المعركة البرية الثانية إذ يقول :

جللت نفسي بعار يبقى بقاء الزمان

لما حملت جوادي على الفرار ازدراني

وضج مني سيفي وضج مني سناني

وددت الأرض تحتي لو طهرت من عياني
انا الذي كان امضى من الحديد جناني
كان الملوك عبيدي فصرت عبد الحسان

على أن المؤلف ترك له ما سوى هذا من مزايا الجندية ، فجعله على لسان كليوباترا :

جيشاً بمفرده في الروع جرار

وجعله على لسان حبرا « إله الحرب » .

وجعله على لسان اوروس « إله الوغى » حيث يقول :

رأيتك والحرب تبلو الكماة فأشهد كنت إله الوغى
وقد كان سيفك غول السيوف وكانت قناتك غول القنا
وكنت إذا الموت افضى اليك تحدّيته فانثنى القهقرى

وجعله على لسان جندي روماني :

... ... هيكلا عز في الرجال ضريبا
... ... خير من هز رمحاً أو نضا صارماً ولاقى الحروبا

وجعله على لسان كليوباترا :

محور الأرض وميزان الشعوب

وجعله على لسان أكتافيوس « سيفا باتراً لروما » :

ضمن أمثلة من هذا النوع تناثرت في الرواية .

لكن هذه المزايا الباقية لم تغن عنه شيئاً إزاء ضعفه النفسي الذي أفاضه عليه اندفاعه الأعمى في هواه ، وجعله من حيث طاعته لكليوباترا « كهمج الاسكندرية » .

ثم صوّر المؤلف صورة أخرى لأنطونيوس من حيث هو رجل فنراه من خلال هذه الصورة: غفوراً يتجلى غفرانه لكليوباترا مرة بعد أخرى ، ويبدو ذلك في قولها له :

وكم حقدت ثم اصبحـ ت كأن لم تحقد

رحيم القلب ، بشوش الوجه :

وتبدو رحمته وبشاشته في قول كليوباترا :

ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندي
ولست من يغضب في ليل الشراب والدد
ولست للكأس على شاربهـا بالمفسد
قلبك كنز الحب والـ رحمـة والتودّد

أكتافيوس قيصر

يظهر أكتافيوس في الرواية قائداً عظيما قوياً ويبدو ذلك في انتصاره وفي قوله «روما انا إلا سيف روما» وفي قول كليوباترا:

إن اسطعت على ما لك من بطش ومن فتك
وما حولك من خيل وما تحتك من فلك

وسياسياً:

ويبدو ذلك في المعاهدة التي اراد أن يخدع بها كليوباترا ليتخذها شارة في موكب انتصاره.

أنطونيس المائن

يتمثل في الرواية مصرياً شديد الغيرة على مصريته: ويتجلى ذلك إذ يقول:

إيزيس كيف أصلي على ابن بوليوس قيصر
ابوه عال ولكن فرعون أعلى وأكبر

وإذ يوحي إلى كليوباترا فكرة الانتحار عطفاً عليها من حيث هي ملكة مصرية وحرصاً على كرامة التاج المصري، ويتضح ذلك في حواره حول افاعيه وإذ يختم هذا الحوار قائلا:

يميناً بإيزيس احملهن اليك ولو في سلال الحضر
إذا بات في خطر تاج مصر سبقت اليك بهنّ الخطر

وهو من هذه الناحية موزع بين عاطفتين :

(الأولى) عطفه على كليوباترا .

(الثانية) بغضه لروما .

ويتجلى هذا البغض في قوله :

حابي أحيط القصر بالذئاب وبي من السخط عليهم مابي

ولكنه لم يكن ينسى في هذا البغض أن آمال مصر معقودة على انتصار انطونيوس . وقد رأينا أثر ذلك في سياسة كليوباترا.

***

كَمُلَ طبع رواية «مصرع كليوباترا» بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ (٢ مايوسنة ١٩٤٦)

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٦٥ / ١٩٤٥ / ٧٠٠٠)